مجموعة قصصية

غيمة تتهجى الأفق

منيف الهلالي

مجموعة قصصية

غيمة تتهجى الأفق

منيف الهدلي

جميع الحقوق محفوظة

الطبعة الأولى ٢٠١٣م

اسم الكتاب: غيمة تتهجى الأفق (مجموعة قصصية).
اسم المؤلف: منيف الهلالي.
مقاس الكتاب: ١٢ × ١٧ سم.
عدد صفحات الكتاب: (١٤٨) صفحة.
رقم الإيداع بدار الكتب: (٤١ / ٢٠١٤م)
خط عنوان الكتاب: ناصر النصاري.
لوحة الغلاف للفنان التشكيلي: عبد الغني علي أحمد.
مهداة من:
الأستاذ : خالد الرويشان
وزير الثقافة السابق
تصميم الغلاف: توفيق الدبعي.
الصف والإخراج: هشام الأهدل.
التنفيذ الطباعي:
دليل للطباعة والنشر & كيو فور للطباعة والنشر

إصدارت
منتدى مجاز الثقافي والأدبي
الإصدار العاشر

الله
بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى الإنسان الذي نزف سني عمره في بلاد المهجر واقفًا على أصابع الصبر يرسم بماء جبينه ابتسامة أسرته المترامية الأحزان ...

(أبي).

إلى ثدي السماء التي أرضعتني ضياءها، واحتواني نبضها، وتفتقت عنها أزاهير روحي ...

(أمي).

إلى السنديانة التي انتحرت الغيرة على أغصانها فتركتني أمارس طقوسي الحبرية المجنونة متدثراً أفياءها..

(زوجتي).

إلى الأربعة الذين نبتوا في راحة نبضي وراحة مقلتي: الندى، والضوء، والفرحة، والسمو ..

(أبنائي).

إلى الخمسة المبشرين بالفردوس الأعلى لفؤادي..

(إخواني).

إلى الغيمة التي تشير إلي بطرفها وهي تسير في الأفق تحتضن الأحلام لتروي بها ظمأ الدروب.

إلى لوحي المحفوظ على شرفات ذاكرتها ونفسي الأمارة بالشوق.

تقديم

هل تكتب شعراً؟؛ هل تكتب قصة؟؛ أم تكتب كينونتك؟ أم فقراء العالم بروح المتمرد الواعي ..؟

أنت كل هذا ويزيد، أقدر حرفك العالي واشتعالاته التي تكشف عن إبداع صميمي، عن روح خلاقة، عن لغةٍ فضاؤها رحب تتسع؛ لأن نجدنا فيها وأكثر، لأن نغوص في أعماقها فنكتشف مشاعرنا الأجد، وقدرتنا على أن نكون أكثر نقاءً مع تداعيات الذات، ورحلة الذاكرة..

هكذا أنت "منيف" حرفٌ يصهل ليجد الروح المترفة بالعشق، والضوء، والحنين.. لديك من القدرة على صياغة المعنى ما يُحدث في المتلقي فاعلية الأثر بمضامين راقية، وصور متلاحقة، وتداعيات مكثفة.

فعلاً؛ نحن أمام كاتب رفيع، يجيد احتراف المعنى، وتلاوين الصورة؛ يأخذنا إلى الأبعد منا، يشرحنا بدقةٍ حين نقع في خطايانا لنستغفر عن كل ما نأتي إليه.

في حرفك بَوحٌ وقوة انتماء إلى الجمال، واقتدار في الصياغة، وشيء من الهذيان الجميل.. لكم يشدنا هذا الإسراف في ملاحقة الصورة!،وما تفضي إليه من تكثيف، وتعقيد، وانسيابية مشاعر، وبوح قلب لا يقدر عليه سوى من تمرس على الهيام، وجعل الحب ضالته الجميلة!.

قرأتك "منيف"، وتأملتُ جغرافيا الحرف لديك فوجدته فعلاً استثنائياً في تراتبيته؛ في قدرته على صياغة ما نتوق إليه..

قد نجد بين قصةٍ وأخرى استطراداً؛ لكن هذا الاستطراد لذيذٌ.. إنه يريد أن يبوح برسالةٍ إلى المتلقي، يقدم رؤية أخلاقية، وموقفاً جمالياً، وروحاً إنسانية..

هكذا أنت، وهكذا حرفك الضوء يكشف عن أننا نمتلك القدرة على صياغة أخرى للعالم، فيها الإنسان نبيلاً إن امتلكنا صهوة الحلم وصياغة الحرف.

دام وهجك يا صديقي، ودام هذا الرقي المتعدد المعنى، المحتفي بالإنسان في همومه وآماله وحنينه إلى أن يكون فاعلاً في بيئته الاجتماعية، متخلصاً من موروث بالٍ، ومن خطأ النظرة لما هو قيمي يستحق الحياة؛ ولكنه يواجه بالعنت، بالموقف المتحجر، بالذات المنغلقة – المهزومة، التي لا تعير التفتح معنى، لا تبتهج للحلم، وتئد ما يمكنه أن يكون مساراً جميلاً لغد نبحث عنه، ويقدمه لنا فناً أنيقاً "منيف الهلالي" بلغة تشويق مرهفة، تضمنا إليها، وتعلن عن جلال وجمال الحرف، وانسيابيته التي تغري القارئ أن يتوقف تارة: متأملاً، منخطفاً إلى إيقاعات الصورة؛ وأخرى:

منجذباً، متأثراً بالموقف الذي أنجزه الكاتب ببراعة في التصوير، ودقة في الرسم؛ لنرى عوالم من شجن آدمي ورغبات وفضاءات أحلام وقوة إصرار.

هكذا "منيف" يسعفنا بين دفتي مجموعته بما نحتاجه من تداعيات منهالة؛ لنقرأ روحنا أيضاً، ونتأمل في معنى أن نكون بشراً أسوياء؛ لتتنوع القدرات، وتزدان المعاني الجملة بما يليق بالإنسان المنتسب لهذا العصر.

لمنيف بيرق الحرف، وألق المعنى، ودفء العبارة، وفيض الإحساس؛ له كل التقدير وقد أنجز بفرادة مجموعة قصصية بتركيبة أشبه بالفسيفساء اللغوية.. هكذا أراها، وهكذا هو كاتب يشي بقادم أروع، يؤكد تواجده بقوة كقاصٍ، وشاعرٍ، في آن واحد.

الأديب والناقد/ محمد اللوزي

توطئة

يا من جعلتك نصب عيني، في جفوني، كل همي رضاك.

يا من وجدتك في نبضي، ضميري، فطرتي.. مشروع حياة.

يا سامعاً شكواي وهي تحبو على جدران حنجرتي في طريقها إلى سماك..

آمنت أنك ربي لا سواك.

أنت إلهي لست أرجو غيرك جبار السماوات، بيني وبينك من ثقتي بلطفك بابٌ ألوذ به حين تشتد بي الكربات، فاغفر ذنوبي الشاهقات الشاهقات، وأنر بعفوك مرتجاي دروبي، فلقد بسطت يدي لرحمتك التي وسعت أنا.. وكل اللائذين ببابك المُشرَاع لا حجاب.

إلهـــي وقــد نامــت الأعــين الشاخــصة، وانطفــأت الأضواء الخافتة، وانكفأت تحت الظلام الورود..

هــل لي وقــد ســافرت ذاكــرتي للــوراء فانبجــست خطاياي من كل حدب.

هل لي وقد صارت ذنوبي مثل الجبال الراسيات..

فرحة توبة تعتريني..

وتمــنح القلــب شــيئاً مــن الــضوء، يغــسله مــن درن الذنوب قبل الممات؟!

"لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين"!

ذاكرة مرآة

هي الحقيقة إذن، لم يعد أمامي متسع للوهم، لا شيء يواجهني سوى الوداع، لقد هوى صرح حلمي وصار للرياح هشيماً تذروه على جبال ووهاد ذاكرتي.

دعيني أتوقف لحظة عن اللعب، لحظة عن الهزل..، كفاني كل ما عشته من خداع.

أعرف اليوم أنك لن تكوني لي.. ما عدت حبيبتي.. أنت مشروع ألمي القادم، مشروع معاناتي الأصعب.

ليتني أستطيع حضور حفل زفافك.. كنتُ على أصابع الجرح أتيت، وحدها الروح ستأتي مشياً على حزني الأكبر لتشاركك فرحة عمرك ومأتمي.

دعيها تلقي آخر نظرة على عيون من أحبونا، وعلى تلك الرسائل التي كتبناها، والخطوط التي رسمناها معاً.. دعيها تقبل جبين تلك الشقيقة، التي ذاقت معنا مرارة الخوف من سطوة الأهل وفرمانات الحجر على المشاعر.. دعيها تلامس رائحة تلك العجوز، التي ستقف إلى جوارك ولسانها طري يدعو لنا.. دعيها تمخر عباب الصمت، المخيم فوق عروسين اختلسا لحظة عناق قلقة لم يجدا لغة يبثان عبرها لواعج الشوق وهذيان الحنين، سوى نظرات شك مثخنة بالخوف من عبثية النزوة وسطوة المزاج.

قسراً، سترحلين، وستضعين حب السنين عند بابك، تغلقين قلبك في وجهه، أو ربما، تعودين إليه بحقائب الحنين وحفنة من أحلام رخيصة الثمن..!

عـارٌ عـلى العـشاق أن يـذهبوا بالحـب إلى الـسوق السوداء كسلعة للتقايض.

أنا هنا، في هذه المنطقة القريبة من دارك، الهاربة بي مـن ذاتـك إلى ذكرياتـك، أجلـس في المقعـد الأمـامي لسيارتي، بعينين ملتصقتين بتلك الشرفة، التي اعتدتك تحلقين منها على تضاريس حبي من ارتفاع تتضح معه رؤية ابتسامتك المشرقة، التي كانت تخفي خلفها معالم هذا المصير الموبوء بلعنة الحزن.

أتـساءل، رغـم فـوات الأوان: تـراك سـتعودين "بالبلوزة" الحمراء و"الشورت" الأسود –خلسة– إلى هذه الشرفة..؟!

ترى هل ستتسلقين تلك النافذة القريبة من الشرفة مرة أخرى كيما أرى خلخالك الشارد شطر التيه..؟

أيبقى باب الشرفة مشرعاً على مصراعيه، كما هو قلبي، أم أن تلك الأطلال ستظل ترتكب فيَّ عنف الذكريات، أنا الذي أحاول، أنساك فأذكرك.. أكرهك فأحبك..؟!

ها هي هدية عرسك، التي حملتها لك من أقاصي الأرض تشغل مكانك الفارغ إلى جواري، وها أنا أعبر تلك الشوارع المحفَرة، التي بددنا فيها أجمل سِني العمر، وقد اتشحتْ بالسواد نظراً لغيابك عنها. حتى تلك الشجرة، التي اعتادتك تسلمين عليها وتتفيئينها أثناء انتظارك لي وعند الإياب، ما عادت وارفة.

حين سرت إليها.. رمقتني بنظرات باردة مغلقة، أجبرتني على الاقتراب منها وتفقدها كأني أتفقدك.. لكنها رفضت مصافحتي بصمتٍ مؤلم، شعرت وأنا أعيد يدي إليَ/ إلى منتصف الذاكرة، أن شيئاً ما انفصل

عني.. كان ملتصقاً بروحي.. شيئاً مني.. كان ملكي.. كان أنتِ.. كان أنا.

إن لهذه الشجرة مكانة خاصة في أعماقي، امتدت جذورها على مر تلك السنين الطويلة، حينما كنت أقف بجوارها كي أتداوى من بعض الخناقات الصبيانية، التي كانت تحدث بيننا عبر الهاتف، كنت أعتقد أنها وحدها القادرة على شفائي كلما لجأت إليها، إلا أنها اليوم صارت عاجزة عن فعل ذلك..!

ها أنا أحمل ذاكرة مرآة، لأقف في لقائي الأول معها مذ فاجعة رحيلك، لأكتشف أننا لسنا الوحيدين اللذين افتقدناك، بل إن كل شيء هنا يؤكد لي حزنه عليك..

وجه ذلك البقال يسألني عن غيابك وعن كروت الشحن، التي باتت عبئاً على خزانته. حارس العمارة -الذي كان يطربه وقع نعليك كلما مررتِ بالقرب منه-

هو الآخر كتب بالطباشير على باب العمارة الخلفي "سألنا عليك وينك". تلك الطفلة السمراء -التي كانت تستبدل سينك ثاءً- أصبحت تمتلك السين والثاء معاً، وحين رأتني لا أتأبط ذراعك ابتسمت بحزن وعيناها تفتشان عنك في كفي الخالية، إلا من بقايا حبر.

حتى مدينة سام، بأزقتها وشوارعها وحدائقها وجسورها القاصرة، وبتسامحها المعهود مع اللصوص والقتلة وتجار الحروب، وبخجلها من تصرفات القادة الجدد، وبرائحة البارود وعبق الثورة، تحدثني عنك.

هنا ولدتِ، وهنا تربيتِ ودرستِ، وهنا زرتني ذات ألم، فصرتِ خارطة أوجاعي.. هنا، ارتشفنا من ثغر فنجان التيه قهوة الأحلام المستحيلة، وعلى هذه الصخرة تركنا كتبكِ المدرسية الممزقة وذهبنا نستبق.. هنا أهديتِني المصحف الشريف وتلك المسبحة القديمة،

التي ما زالت تزين خاصرة مرآتي.

ما زلت أذكر حين أدهشني حديثك عن عذرية شفاهك وعن عدم معرفتك بكيمياء القبل حتى مع الأطفال، وجهلك للطريقة التي يمارس بها العشاق عراك الشفاه.. مذهولاً كنت أستمع إلى دراماتيكية سردك القصصي، حين تصورين المشاهد بأسلوب سلس ومتجانس ومقنع، يوحي بحرفية فائقة.!

ألا تذكرين ذلك المطعم الفاخر، الذي كنا نرى منه المدينة وهي تتحرشنا برمشيها، حين كنت أتوسلك تناول الطعام فتطعمينني دون أن تتذوقيه نتيجة انشغالك بشلالات الماء، التي تموسق حولنا باستفزاز رومنسي حميم. حينها لم أكن قادراً على أن أميز بين الأشياء، الحب كان الميزة الوحيدة التي كنت أنصت إليها.

الغريب، أن هذا المكان الذي صار موحشاً بعدما عبث الرصاص بالرؤوس، التي تحمل فكرة التغيير على مقربة منه، هو نفسه الذي حرر مشاعرك من سجون عواطفي وقيود حبي.. لكن، هل كانت مصادفة أن تتخلصي من حبنا في نفس المكان الذي شهد ميلاده..؟ أبداً، لم تكن مصادفة، بل كان كفاحاً من أجل الوأد.!

في هذه المنضدة الفاخرة، ومع وجبة عشاء مبكرة، مضغ ذلك الكهل حضورك وأنت تقفين على مرمى يده وملء بصره، ثم كوره في فمه، قبل أن يرميه في راحة يديك عبارة عن بقايا أنثى.

كانت حمرة شفاهك/ أنوثتك، غالية الثمن قد لطخت ثوبه الأبيض، وكان حذاؤك قد تمزق على حافة اللحظة المسعورة، بينما انكفأتِ تلعقين أوهامك بصمت.

ظللت أتأملك بحزنٍ يمزق أجزائي، بينما تشبث بتلابيبك حد إغراقك في بركة مياهه الآسنة، كان يبحث عن عذرية الأشياء ليعبث بها (بالحلال)، بطريقه تكاد تكون ظاهرة، لولا أن المجوهرات -التي استعادها منك مؤخراً- حجبت عنك الرؤية.

في حقيقة الأمر، أعلم أن ما دفعك للارتباط بذلك الكهل، الذي جعلك تلملمين أشلاءك وتجرين أذيال الخيبة والندم وراءك، وقد أورثك الدموع وذاكرة الحزن ليس أكثر من كونكِ لم تبلغي سن الرشد العاطفي بعد، والذي ينزاح معه الغشاء أو الحاجز الذي على عين الإنسان، فيكون قادراً على التمييز بين الشياطين والملائكة..

لذا لا تحزني، فالحزن لا يليق بحبيبتي، لستِ وحدكِ من نام في صدره، فهناك العديد من الرصاصات أيضاً..!

قراصنة الربيع

هي.. والعكاز في يدها اليمنى، تحدب آخره، وذاك المدى، الذي يجمع بين انفصاله عن شجرة الرمان، التي ما عادت هناك، وتلك الصورة الأسطورية التي تمثلها تجاعيد وجه الربيع..

قالت وتأبطت عكازها:

كنت ألتحف البؤس في كوخي البعيد، متدثرة بسكونٍ قارس، حتى أتى رجع ثورتكم فزلزل مرقدي، وأشعل فتيل الأمل، الذي خلته مات في أعماقي أو يكاد.

رجعٌ قدّ صمت الكوخ صداه، فانبرت روحي تصافح مقدم الفجر الجديد، وتنازع الساحات ضوءه ..

بيد أن الشمس حين لاحت وأضحت كل الدروب المغتصبة تؤدي إلى المنصات، تدحرجت أحلامنا نحو الريح، والتصق يسيرها بعمامة الشيخ القبلي، الذي ما إن تمترس خلف نظارته السوداء صارخاً: نحن نعاني كما تعانون .. حتى أسقط بقايا حلمنا، وأرسب لهيباً فوق كف الغيب، ما تزال الأيام تتلظى بجحيمه حتى تنتفض الأرض وتلفظ رفات أمجادهم.

أقبلتُ تائهة الخُطى، أستنجد النور المُخبأ فيَّ، كي يمررني خلسة في زحمة الغازات، على تلك المساحة السرمدية، حيثُ كعبة الثورة .. وهناك وجدت في صدر المكان رجالاً، كلما حانت صلاة توضؤوا بدمائهم، وولوا وجوههم شطر الزحف، يرجون الخلاص بإحدى الحسنيين، بينما بالقرب منهم تناسلت الخيام، تكاثرت اللحى، تسابقت الأقدام صعوداً إلى مكبرات الصوت،

تزاحم المتبرئون من رجس النظام السابق على أبواب التوبة..

وقف الأب موزعاً صكوك الغفران، ومبشراً بالكرسي، وبالحوريات البيض، اللاتي ينتظرن بشوق في خزانات البنك المركزي، وبين يدي المانحين وأصدقاء اليمن.. تمترس البائد خلف عقال البعير، الذي منحه حصانة الأرض دون السماء.

* * *

جثا الحبر على صفحات الغيم فاختنقت المفردات في حلق المدينة..

ما زلت أسمع دبيب مسيرة الحياة مستنشقة للغازات، التي امتلأت بها سماء جولة (دار سَلْم)، وما زال هدير الشباب يدوي في الآفاق، التي ترقبهم بدهشة وهم يزيحون الجليد من أمام قراصنة الربيع، بينما يتجهون

إلى الهامش بصمت، لعل رب "الفِرْقَة" أراد ذلك، أو لعله رب "الحَصَبة"، أو قد يكون ذلك نكاية برب "السبعين"، الذي أمطرهم بوابلٍ من العنف.

يا إلهي..!

تعدد الأرباب هنا، وباتت الغاية التي استنهضت سباتنا محصورة بين الكفر بأحد الأرباب والإيمان بالآخر ..

لكن، هل تذهب كل الدماء التي أُريقت هدراً..؟

يبدو أنها كذلك.

لعل اليد الآثمة، التي امتدت في الأمس إلى تضحيات "الزبيري" ورفاقه، هي نفسها التي سعت للإبقاء على وريث العرش ومغتصبه، كيما يعيثان فساداً بما لم تطُلْهُ آلتهم العسكرية المتوحشة، وهي نفسها، التي كلما نفضنا غبار القبيلة المقيتة عن كاهلنا، باغتتنا

بريحٍ صرصرٍ عاتية تقض مضجعنا وتدفننا تحت رمال الجهل والتخلف والرجعية مرة أخرى.

إننا نرى مخالبها بين ظهرانينا لكننا – كرهاً- نغض الطرف..!!

هل جُبِّنا إلى هذا الحد..؟ أم أن تلك اليد، التي ارتكبت رهقاً، أكبر من قدرتنا على بترها، ولن يقدر عليها سوى أولئك الذين يتربصون بها كما تتربص بهم.

لكن، أي تربص هو ذاك الذي تهتز معه البطون فتتزاحم حوله الاستفهامات التي –قسراً- تقذفنا إلى ضفة الصمت..؟!

في الحقيقة، كلاهما يتربصان بنا وبثوراتنا، وبالأمل الذي أومض بريقه من هناك.. من تلك المدينة التي يقف (السلطان) متلصصاً على جناحها الأزرق، غير أننا لا ندرك ذلك!

وحـدها الأيـام كفيلـة بتعريـة حماقاتنـا وتواطؤنـا المَعِيب مع دعاة الرجعية والتخلف وعتاولة الفساد.. أما أنا، فقد بات لزاماً عليَّ أن أصبح ريحاً وأغادر فوضاكم إلى كوخي المغتصب، تاركةً تلك السواعد المغتالة، في حضرة وطن مثخن برائحة الموت وأشلاء الأبرياء، وتلك الأحزمة الناسفة والسيارات المفخخة، التي تأكل ما تبقّى من الجسد والحلم المسروق.

أغادرُ، لا لأني أميل إلى كفة ذلك المحتال الذي صارت تلاحقه اللعنات، حتى أصبح هذيانه يتعب من حوله؛ إذ لا يفتأ -بعدما نهب كل شيء- ينفث سمومه في ذلك الجسد المترنح حد السقوط.. لكن، لأني ما عدت أطيق تدجين الثورة وإحراق الخرائط النهضوية، التي رُسمت بالدم القاني، واستبدالها بأخرى مقاساتها مغايرة، كما حبرها.

كنت قريباً من فمها، مذهولاً سألتها:

لماذا كل هذا التشاؤم وقد استنهضتك الرياح التي قذفت بـ "الزعيم" خارج دائرة التسلط، فكان لك وللجماهير التي زحفت إلى الساحات مبتغاكم..؟!

أجابت: ذلك أن اللون الأحمر مازال جالساً على مسافة بعيدة من مآسينا قريبة منه...

تركتُ تلابيب الصمت التي كنت أتشبث بها، وأمسكت بحروفي الكبريتية المشتعلة.. سألتُ، وكان حتماً عليّ أن أسأل: أين هي المعجزات الخارقة التي كان يتحدث عنها نبي الثورة، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه..؟!!

قالت: دعك من هذا الهراء الذي جلب لنا البؤس والنكسة، ودعني ألتفت إلى ذاتي التي انشغلتُ عنها..!!

فـماذا إذن عـن زوجـك، الـذي سـجدت المـصادفة على مآقيه النائمة..؟!

زوجـي.. (عبـد الـرب)، أطـال الله عمـره وشـواربه .. ذلك القدر المفقوء.. لقد زوجوني به لفرط احتياجهم للعبة لعينة، فهجرني منذ الوهلة الأولى لزواجنا وبدأ يلفلف أنفاسي .. وتلك العصي، التي جمعتها منذ بزوغ فجـر ثورتنـا الأولى، ليحملهـا عـلى ظهـور الحمـير ويرسلها إلى الجنوب..

لعله شطط الدنيا راوده الانفصال عني والاستقرار في كنـف الرذيلـة.. تُـرى هـل سـتصبح نبـوءتي واقعـاً مأساوياً، تنتصب بعدها مقصلة التاريخ لتشطر قلبي، عـن قلبـي وتبـتر بقايـاي عنـي لترميهـا في مهـب الـشرق الأوسط الجديد، عبارة عن قطع صغيرة لا روح فيها ولا نبض.. تعافها المساحات، وتنفر منها الجهات..!

يا إلهي.. ماذا قلت وبماذا هذيت..؟!

لعلك استدرجتني إلى مأتمي..! ما لي وللشقاء الذي تجرني إليه..؟!

حسبي أنني وزوجي ومودة تتخلق بيننا، وإن كان يصلي طائفاً، ما زلت أمنيني تلك السجدة، التي تقدسني وتذهب به أجراً مكتوباً. عسى رياح تتنفس كوخي حياة مضيئة...

❋ ❋ ❋

يبقى الانتظار شاقاً، إنما، علينا أن نتدرب على المشقة والصبر، عسى نثأر من ازدواجية الفصول وتماثلها.

فامضِ .. دربك الطويل يتهجى ذهابك، بينما عكازي تشير حدبته نحو كوخي النائم في حضن

المساء، ربما نلتقي في ربيعٍ آخر أكثر نضارة وبهجة.. ربيعٍ كلما بسمت ساحاته بكى الغمام، ومتى تحققت أحلامه غنى الحمام، وجالت دموع الفرح في وجنات النهار، وفاح نسيمه العاطر في الآفاق، منتشياً يصافح الضوء ويقبِّل ثغر الغد المشرق.. ربيعٍ تحيك الأجيال من رونقه البهي عباءة منظومته الحاكمة، كيما تغطي ذلك الجسد العاري الذي تآكل من الداخل..

آهٍ آه .. الطريق أصبحت أطول مما مضى.. لقد تأخرتُ كثيراً.

مَضَتْ .. والحيرة تتعاظم.

* * *

فتحتُ نوافذ صدري، علّ نسمة ربيعٍ ضالةٍ تأوي إليَّ، غير أن ثاني أوكسيد ثورتهم كان يغطي سماء

المكـان.. استنـشقت مـا يـسد رمـق رئتـي، وبـألمٍ موجـعٍ أخـذتُ وضـع الابتـسام وتظـاهرت بترتيـب أوراقـي، المنزعجة مـن الغيـاب .. قبـل أن أغلـق نوافـذ صـدري، لأعيد التفكير مرة أخرى في ربيعٍ جديدٍ، نغزل أزهاره بأيادٍ مضيئة وبسواعد لا تلويها الزوايا المنكسرة..!

رماد الصمت

وأنا أقلّب طرفي خلف غيوم القلب، كانت اللحظة تمطر حباً، وكانت بسمة العمر تقف على عتبات المغادرة.

هناك.. حيث ذات ذهول، على مرمى أمل، أطفأتْ حلمي الأخير، وأشعلتْ رماداً للصمت حين جاءها من ترضى عشرته.

تساقطت من الأفق أحرف الوداع، فانهمرت معها مفردات الخوف، وأُلقي القبض على آخر الأنفاس في رئة الفرح..

حاولت أن أبحث عن مساعدة.. لكن، لا أحد سوى

الصدى يقاسمني الفاجعة. رفعت سماعة الهاتف، عليّ أجد صديقتها، تلك التي كانت تلجأ إلى حضنها كلما اختلفنا، فردت عليّ أخرى..

سألتها عن شقيقة الروح.. فأجابت:

هي تكرهك حد التطرف..!

كنت جالساً على حافة جرف عميق، فأحسست قلبي ينخلع من مكانه؛ وكأنه يهوي في طريقه إلى الارتطام بقاعه.

وددت أن أصرخ في وجهها، إلا أنني تمالكت نفسي بعدما شعرت بنبرة صوتها الانتقامية..

أخذت نفساً عميقاً كاد يخنقني، ثم سألتها بصوت متحشرج:

ولكن، لِمَ تكرهني..؟!

أجابت:

لأنك أنت.. ولأنها صارت له..!

حينها، شعرت بيد عملاقة ذات أصابع مكسوةٍ بالصوف، انبثقت من أعماق الجرف ومنعت قلبي من السقوط، هزتني قشعريرة قوية جعلتني أسألها بصورةٍ مباشرة:

ألأنها صارت له.. كان لزاماً عليها أن تخلع عقداً ونيف من الوفاء، والطهر، والحب..؟!

أجابت بتهكم:

أرجوك، توقف عن الحديث وانكفئ على أوهامك، لا تطلق العنان لحضورك، فقد يؤذي خارطة ظلها فتسقط بين يديك مضرجة بالتيه.. لقد غادرتك عن قناعة حين اصطدمت بقدراتك المكبلة بأغلال العجز، وقلبك المسجون خلف قضبان الأحلام الممنوعة،

ويديك المرفوعتين إلى سماء الأمل المُحال، فدعها لعالمها الجديد..!

ضحكتُ بطريقة مؤلمة، جعلتني أشعر بالقناع الآخر للبكاء، ثم رميت مسامعها بآخر سؤال في جُعبتي الفارغة إلا منه:

أتتحدثين بلسانها، أم أن ما تقولينه هو انعكاس حقيقي لحياتك العامرة بالفشل..؟!

أدركتْ أن الأمر أعمق من مجرد مهاتفة لحظية، تتغيا السؤال عن الحبيبة، فأجابت:

بل أنا أتحدثها.. ناقلة إليك مساحة اللاوجود لحضورك على خارطتها المستقبلية..!

❋ ❋ ❋

كانت قصتي العاطفية أمامي، وأنا أطل عليها من

حافة الجرف/ح. شاهدت نوراً يعبر الجرف العميق باتجاهي، ويداً عملاقة تحمله حتى أوصلته إلى صدري، ثم عادت أدراجها دون ضوء.

كنت بحاجة إلى أن أهدأ، أمسك بخيوط أفكاري. أخذت زجاجة الماء الباردة الموجودة بجواري ودلقتها في جوفي، علّ برودته تهدي قلبي المحموم كمّادة رجاء. اعتصمت بالصمت برهة، وهي ما تزال على الهاتف. كدت أصاب بالجنون لشدة ذهولي مما أسمع من كلمات مهينة، تحاصرني بها هذه الفتاة المضطربة، لولا حدسي، الذي جعلني أكتشف أنها تعاني من جراح عاطفية لم تندمل بعد، وأن ما تقوله لا يعنيني في شيء، خصوصاً، وأنني على يقين أن عشبة القلب، سنبلة الشوق، غيمة الحنان، شمس طفولتي الهاربة.. لا يمكن

لها أن تطارح هذا السقوط العاري، وهي التي أمطرتني بهمسها الحالم، وتوجتني بأكاليل الشوق والحنين والعشق على مدار عمر وبضع سنين. إلا أن ما قالته صديقتها كان وقعه صاخباً في مسامعي، ما جعلني أسير بخطاي إليّ، فاراً من الظل إلى هجير المواجع..

وعلى الرغم مما كان، إلا أنني لم أتوقف في مهب الجرح كثيراً؛ إذ أن العمى العاطفي حجب عني الرؤية والإدراك معاً فأبرمت معاهدة بيني وبيني، تدعو إلى الصمود أمام الأعاصير والنوازل المباغتة؛ لذلك، عدت مترعاً بالبوح، مثقلاً بالجرح، أخاطبها:

أوَتتحدثين عن البسمة ال.. ما زالت شهقة ضوئها تسري بأوردتي مذ استباحني طرفها ذات أنين.

يا غادة القهر، تطهري من رجس زيفك بندى

ضوئها، ولا تلمزي كينونتي الأولى بما لا تستسيغه مداركي، فأنا الذي أسقيتها لحظي، منذ أن كانت نبتة خلد، ورسمت من شفق الصباح ظلالها، وغسلت فؤادها بالضوء، وجمعت فيها معادن الدنيا، فصارت لؤلؤة الحياة وعقدها الثمين.

لا تقولي إنها تكرهني، كيما أُغادرها ملسوعاً بجمر شفتيك ونار لسانك، بل جولي بوجهك العابس على مقربة من أوردتها، ثم اسألي عني هناك، فإن لي في كل زاوية مرفأ، وفي كل منحدر ظلالاً، وفي كل شريانٍ معلق قطعة ضوء، وإن استطعت فتقدمي خطوة شطر قلبها النابض، وستجدين الحب، الذي صنعته بكلتا يديّ يسبَح منفرداً، مشعاً ببهاء الحضور.

غير أنك، إن حاولت **الولوج إلى حيث أنا**، ستحترقين؛

لأن الضوء القادم من أقاصيها أكبر من رؤيتك الغير متجانسة مع الحقيقة. لذا، عليكِ أن تحلِّقي ببصرك عالياً لحظة بزوغ الفجر، ثم أمعني النظر جيداً في أفق الحقيقة، فقد تميزين الخيط الأبيض من الأسود.. فإن فعلتِ، فذاك أنا، والليل أنتِ، والنهار حبيبتي..!

.. شيء من الصمت تسرَّب عبر خيط الهاتف، ثم إشارة خجولة أعلنت انتهاء المكالمة...!

مزيّنة في مهب الحزن

أنتظرها كل عصر، بنفس اللهفة.. بنفس الحنين، الذي يتوسلها الحضور .. بأحزاني، التي يستنهضها صالح كلما رن جرس هاتفه معلناً عن مكالمة تدعوه إلى جلسة مقيل مشبوهة..!

في الواقع.. هي تنتظر خروج صالح من المنزل بعد صلاة العصر، وأحياناً قبلها بساعة، لتأتي إلي وفي يدها تلك العصا السحرية التي تخرجني من حالة الوحدة المرهقة المملة التي أعيشها، وحالة الوصب التي ألمت بي مذ وطأت قدماي أرض الوطن المتخم بالأسى والدهشة!!

صالح لا يعود إلى البيت حتى الساعات المتقدمة من

الفجر، فإن تمرد على واقعه وجاء قبل موعده المعتاد فإنه يبقى داخل سيارته منكفئاً على مراهقته المتأخرة، يتحدث في الهاتف حتى ساعات الفجر الأولى؛ وحينها فقط يلج الدار، تسبقه رائحة الدخان، التي تنبعث من مسامات جسده بالتوازي مع ذلك الشرر، الذي يتطاير من وجهه العابس حد الإثم.. لا يحدّث أحداً، ولا نمتلك الجرأة الكافية للتحدث إليه، فيما يسير باتجاه مخدعه بصمت ليغرق في سبات عميق لا فرق بينه والموت سوى ذلك الشخير المتقطع، الذي لا يتوقف إلا عند الظهيرة، موعد حضور رفيق "البحشامة" الذي يناديه نداءً لا نكاد نسمعه، غير أنه يخترق كل الحواجز والجدران، ليهدم تلك القوانين التي تحول بيني وبينه، فما يكاد يرتد إلي طرفي، حتى يكون اغتسل وارتدى

ثيابه وأصبح إلى جوار صديقه، الذي ينتظره في الخارج.

ساعتان أو تزيد قليلاً، قبل أن يعود إلينا مرتدياً ذلك العبوس الذي يواجهنا به ويستدبرنا، وفي يده حزمة القات، التي يشير إلينا بغسلها، حينها.. يجلس إلى السفرة لتناول الغداء، الوجبة الوحيدة التي يتناولها طوال اليوم، فهو لا يعطي للأكل المساحة الكافية من وقته المزدحم بالرنين الهاتفي؛ إذ يتناول الطعام بيده اليمنى وبالأخرى يعابث أزرار هاتفه، فلا ينتهي من مكالمة حتى تأتيه أخرى.. مكالمات من أسماء مبهمة تثير الريبة والشك: منير، أمير، سمير، نبيل، مالك، باسم، أمين، نجيب... أسماء مذكرة في ظاهرها، مؤنثة في رقة الأصوات التي تتسلل إلى مسامعي خلسة، وهذا ليس غريباً؛ إذ إن علامات التأنيث الغائبة عن آخر

الأسماء غدت طريقة حداثية يستخدمها صالح لإخفاء أمر سوئه عني.

صالح.. لم يكن بهذا السلوك من قبل، ولم أعتده بهذا الانحراف، وإن كنتُ أكادُ أجزمُ أن نذير الشؤم الذي ينتظره بالخارج هو الذي أغرقه في وحل الخطيئة التي يفيض بها هاتفه.

حين يلتقط آخر لقمة بيده اليمنى، يكون قد وضع هاتفه - الساكن لبعض الوقت - خلف جنبيته، ليملأ قبضته اليسرى بأغصان القات ويضعها على المنضدة القريبة منه صارخاً وهو في طريقه إلى الخارج: خذي قاتك..!

* * *

أجري مسرعة نحو النافذة علني أقتفي أثري، أجلس مطلة على الألم، أتنهد بحرقة حين أراه يتحدث بالهاتف

مبتسماً، وقد خلع ثوب الغضب الذي يرتديه أثناء تواجده بيننا، أتكئ على أوجاعي الملتهبة وأعود إلى حجرتي، أنتظر صديقتي زينب وقد عقدتُ العزم أن أفضي إليها هذه المرة بكل ما يجول بخاطري، علَّها تساعدني في فك طلاسم الذكريات، التي أصبحت بفعل التغيير الذي طرأ على علاقتي بصالح لصيقة بأيامي، ما انفكت تثير الماضي وتعيد الأيام الخوالي على شريط من حنين ليس بمقدوري وأده ولا التخلي عنه..!

- السلام عليكم.

- وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته.. كما أنت يا زينب تأتين في الأوقات المناسبة دائماً..

- ماذا هناك.. ما هذه الدموع المشتعلة على خديك..؟

- صالح يا زينب يخونني مع عدد من النساء، أخشى أن يصاب بمرض من الأمراض الخبيثة التي نسمع عنها هذه الأيام، ما عاد يهتم بي ولا بأبنائه، صار غير آبهٍ بممتلكاته وتجارته في أميركا، والتي باتت في مهب الضياع، لقد استدرجه صديقه محمود الذي يعمل في محل للهواتف النقالة إلى تلك النزوات، التي ما عهدته عليها طوال عشرتي معه، حتى أصبحت تلك الأسماء المحذوف تاء تأنيثها هي شغله الشاغل.

- تريثي يا عتيقة، لا تحمّلي نفسك يا عزيزتي أكثر من طاقتها، كل مشكلة ولها حل.

- أي حلول.. ما عدت أثق بأن هناك حلاً يمكنه إصلاح الأمر لفرط يأسي..!

- لا عليك، سنتدبر الأمر سوياً، اجلسي "نخزِّن" وستأتي الحلول رغم أنفها!!

- نخزن.. نخزن.. والله إنك صادقة، القات أرحبي يستحق جلسة مغلقة !!

- ما شاء الله والقات، لكن، قولي لي يا عتيقة، هل تزوجتِ صالح عن حب..؟!

- الله يا زينب، من أولها نكأتِ الجرح الذي أبى أن يندمل، دعيني أجلب لنا ماء وبيبسي من الثلاجة وآتي إليك، أود أن أحكي لك قصتي الموجعة، المجنونة..

- صدقيني يا عتيقة إنني أرغب في أن تحكي لي كل شيء بحياتك، فنحنُ جيران منذُ أكثر من عام، وتحديداً بعد عودتك من أميركا.. لكن، وإن كنت اطّلعت على تفاصيل مشاكلك مع صالح، فما زلتُ أشعر بأن هناك أشياء كثيرة غائبة عن حواراتنا..!

- بالفعل، هناك مواطن أخرى للوجع، وثمة حكاية

ما زلت أحتفظ بها لنفسي، حتى اللحظة، غير أني -أخيراً- قررت أن أنهي حالة الاحتقان التي تسود أعماقي.. فقط أعيريني مسامعك:

أنا من أسرة معدمة، يعمل جميع أفرادها في خدمة أبناء القرية مقابل فتات لا يكاد يسد رمق عيشهم، لم يكن لوالدي بيت، غير أن أحد أبناء القرية وهبه قطعة أرض صغيرة، بنى عليها منزلاً، عبارة عن غرفتين في الدور الأرضي إحداهما للمواشي والأخرى لعلفها، وفي الطابق الثاني صالة صغيرة وغرفة متوسطة نستخدمها ليلاً للنوم، ويستخدمها أبي نهاراً لاستقبال أهل القرية، الذين يتناوبون على زيارته والتلصص على مفاتننا، التي يعتبرونها ملكاً عاماً.

كانت بنات القرية يحسدنني للجمال الذي حباني الله به، أما الشباب فكانوا يتعرضون لي ويتحرشون

بجـمالي، الـذي يفتقرونـه في منـازلهم، مـا جعلنـي لا أطيقهم، ولا أشغلني بالتفكير بهم مطلقاً.. وحده شفيق، مَنْ كان يقتحمني بقدرٍ كبيرٍ من السطوة، وفي المقابل، يشعرني بالأمان كلما صوّب إلي عينيه المملوءتين حناناً ورقة، حتى أهلي، لم يكن أحد منهم لينزعج من زياراته المتكـررة لـدارنا.. وحـين يطـرق البـاب أثنـاء زيارتـه المسائية لنا، كانوا يطلبون مني فتح الباب الرئيسي رغم أن المكان معتم وليس به بصيص ضوء. ليس ثقة بي، لكن، لأن أخي الأكبر كان يخطط لما هو أكبر من ذلك، فقـد كـان يـصف لي محاسـن شـفيق وكرمـه ومـآثره بإسهاب، يصل في بعض الأحيان حد الملل.

شـفيق - بالفعـل - شـابٌ جميـلٌ ، ذو خلـق جـم.. صحيح أنه غير ميسور الحال، لكن كان له شأن كبير في

القرية، خصوصاً بعد انضمامه إلى الجبهة، التي كانت توغلت في منطقتنا إبان النزاع في المناطق الوسطى بين المعسكر الشرقي والغربي، أو بالأحرى بين الشمال والجنوب، والتي كانت تدعو إلى تطهير الوطن من مشائخ القبائل -الذين يأتون على الحرث والنسل- بالقضاء عليهم عن طريق الاغتيالات والتصفيات الجسدية المباشرة، من أجل تسهيل عملية تحقيق أهداف ثورتي سبتمبر وأكتوبر، وتصحيح الأخطاء التي علقت بهما، بالإضافة إلى معالجة الظروف المعيشية المتدهورة، وإزاحة الظلم عن كاهل المواطنين والاستفادة من خيرات البلاد، التي حُصرت على فئة معينة من المجتمع، وتحقيق الوحدة الوطنية بالكفاح المسلح.. غير أن هذه الحركة انحرفت عن مسارها

الصحيح، نظراً لتباين رؤى قادتها، الذين كانوا يتلقون الدعم من ليبيا والاتحاد السوفيتي، لتبدأ التصفيات الجانبية التي لم يكن لها علاقة بالمشهد، وتتوالى الأخطاء الفادحة، التي كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر حركتهم الثورية. وبالرغم من إلصاق صفة الإجرام بكل من انتمى إلى تلك الحركة أو الجبهة الوطنية، كما يسمونها، كان شفيق يحظى باحترام وتقدير كل أبناء منطقته، خصوصاً أنا، ذلك لمعرفتي الحميمية بأعماقه، التي تنضح بالرحمة والبراءة والطهر..!

ورغم أنه من أسرةٍ ثرية وابن رعوي كبير، كان شفيق فقيراً، فقد توفي والده وهو في سن صغيرة، ما دفع عمه للزواج من والدته، بعد إقناعها بأن الزواج سيكون بهدف تربية أبناء أخيه ليس إلا.. وقبلت أم شفيق

بالزواج طمعاً في تربية أبنائها في كنف عمهم، غير أن العم استحوذ على كل شيء، وترك أبناء أخيه يلهثون خلف لقمة عيشهم..!

بعد أن شارف شفيق على الاقتراب من العقد الثالث من عمره، لم يكن بمقدوره الزواج، خصوصاً بعد خروجه من السجن عقب قرار العفو الذي أصدره الرئيس للمعتقلين، الذين تم إلقاء القبض عليهم بعد انسحاب الجبهة من المناطق الشمالية، التي كانت تحت سيطرتها، وهدوء النيران، وانزياح كابوس الجبهة، الذي جعل من المناطق الوسطى مناخاً مناسباً لاشتعال الحرائق والسقوط في فخ المؤامرة..

في تلك المرحلة كانت السجون تكتظ بأعضاء الجبهة، الذين سلموا أنفسهم، أو الذين أشارت إليهم

أصبع الاشتباه أو التخوين، وبآخرين – منهم شفيق– كانت الوشاية قذفت بهم خلف القضبان، مع أنهم كانوا أصحاب مشروع نهضوي لا يمت للماركسية، الامبريالية، اليسار الدموي، المجاهدين، التقدميين، الرجعيين.. بأي صلة، وليس له ارتباط بالدنانير، الدولارات، الريالات، ولا حتى عسل المشايخ، إطلاقاً.

لم أكن أدرك أنه يتسلق مشاعري للوصول إلى غايته، التي كانت تُعد ضرباً من الخيال، وإنما تناولت دفء نبضه للهروب من الصقيع العاطفي، الذي كان يشل حركة أعماقي.

كان يطلب من أبي الزواج بي بهدف ابتزاز أسرته مادياً، وكنت أتحايل على واقعي الطبقي بتصديق ذلك النبض، الذي يلسعني دفئه كلما ولج دارنا الخالية إلا

من بقايا نبض تركه ذات مساء. لم يكن قد خالجني شك في صدق مشاعري نحوه، غير أنني كنت أتوجس خيفة من الطبقية المقيتة، التي جعلت أسرتنا في الدرك الأسفل من التصنيف القبلي في اليمن.

كنت متشربة به إلى أقصى حد، حتى إن فيض مشاعري كان يجرني إلى أدغال الخطيئة كلما التقينا خلف باب دارنا وسط فوضى الظلام البهيم، وإن كان شفيق يصدني رغم التصاقي به هروباً من وحشة الليل واقتفاءً لتلك الذبذبات الدافئة، التي تأخذني إليه أثناء تناولي تحيته المسائية التي اعتدتها. وهذه المواقف النبيلة منه جعلتني أزداد حباً وهياماً به.

حادثني -ذات مساء- عن صدق مشاعره نحوي وعن رغبته اللامتناهية في الارتباط بي والتمرد على

تلك العادات القبلية المقيتة، التي تحاول كبح جماح عاطفته، فيما غرقتُ أنا في حالة اللاوعي التي أصابتني بسبب تلك المفردات التي تجاوزت مداركي فلم أنبس ببنت شفة، بل بقيت أحدق في وجه الليل وأرسم ملامح المستقبل الجميل بريشة المزيّنة، التي ستصبح عمّا قريب امرأة كبقية نساء القرية، لا يأمرها ولا يتحرش بها أحد، سأكون زوجة قبيلي لا يجوز النظر إليها ولا حتى الحديث معها..!

قلت لي، وأنا ما زلت في طور الدهشة والرسم: يا ترى من سيسمي ابني البكر حينما يفرحني الله به..؟! لعلي سأجعل أبي يحظى بهذا الشرف العظيم.. لا، بل زوجي الذي أهدانيه هو الأحق، لكني أرغب في تسمية وليدي بالاسم الذي يليق بمقامه؛ لذا يجب أن أسميه

"الشيخ أحمد"، حتى تناديني نساء القرية بأم الشيخ فأكون ذات شأن كبير بينهن..!

لكن، هل سيتحرر أهلي بتحرري..؟ أم أنهم سيبقون على الرق الذي جُبلوا عليه..؟!

هي الحقيقة إذن، المزيّن يولد مزيّن ويموت كذلك، والقبيلي قبيلي حتى بعد موته..!

لكن، ماذا لو حصلت المعجزة، وتزوجت من شفيق، بماذا سيجيب ولدي "الشيخ أحمد" أقرانه حين يعايرونه بخاله المزيّن وأسرة أمه الذين يعملون في خدمة أهل القرية..؟!

لعله سيأتي ليقتلني كيما يتخلص من العار الذي جلبته له، أو قد يتبرأ مني في أفضل الأحوال..!!

إذن، يجب ألّا أنجب أطفالاً حتى لا أجد نفسي

عرضة للقتل أو التغريب من أحدهم.

* * *

وبينما كنت أسبح في سماوات خيالي وبيدي مجدف من ريش الحمام، سمعت صوت أبي ينتزعني منها:

واااعتيقة.. واااااعتيقة.. "إدي لنا شاهي وتعالي بسرعة".

تركت تلك الصور المذهلة وذهبت لإحضار الشاي، كانت قدماي تتلعثمان بالخطى كما لساني، وكانت نبضات قلبي المتسارعة، تكاد تقذفني إلى الزاوية التي يرصد شفيق خطواتي منها.. غير أنني تمالكت كياني، الذي بات يحلق عالياً برفقة تلك الأحلام المنبثقة من رحم اللحظة، لأعيده - قسراً- إلي وأنا ألج المكان.. وضعت الشاي أمام شفيق وهممت

بالمغـادرة، غـير أن والـدي طلـب منـي الجلـوس إلى جـواره. رمقـت شـفيق -خلـسة مـن أبي- بنظـرة مـشبعة بالحلم ومليئة بالعشق اللامتناهي، كنت أتمنى أن يرفع رأسـه لـيرى ملامحـي، التـي تـوحي بنحيـب أشـواقي وصراخ نبـضي، بيـد أنـه كـان يرتـدي ثـوب الحيـاء، شاخصاً إلى الأرض والعرق يتفصد من كل مسامه..!

كان الصمت سيد اللحظة، غير أن أبي بدده بحديثه إلي: هـذا يـا عتيقـة شـفيق، مـن أفـضل أبنـاء القريـة كـما تعرفين، له مكانة خاصة في قلبي، جاء يطلبك للزواج على سنة الله ورسوله، فما رأيك..؟!

شـعرت سـاعتها بانقبـاض قلبـي وارتعـاد أجزائـي، بثورة فرح عارمة تجتاح عروقي، شعرت بأني أسافر في الأفـق عـلى أجنحـة الأحـلام التـي أصـبحت واقعـاً،

أمسكت بجدار الغرفة وأنا أستجدي جنوني الاستكانة لبعض الوقت، بقيت أفتش عن الباب، علني أوحي إليهما بموافقتي حتى عثرت عليه بعد جهد ذهني كاد يفتك بقواي، غادرتهما بصمت..!

ارتفع صوت والدي: على بركة الله.. السكوت علامة الرضا.

أجابه شفيق بصوت متقطع: العقد في الغد إن شاء الله.

وقفت خارج الغرفة لبعض الوقت، ما استطعت الذهاب إلى أمي وإخواني، الذين ينتظرون بفارغ الصبر نتائج الجلسة، التي يعلقون عليها آمالهم بالخلاص من الدونية التي نعيشها، فما زلت لفرط فرحي أتوق لسماع شفيق يحدِّث والدي عن ترتيبات العرس ومتطلباته،

غير أنه لم ينبس بحرف.. وفجأة، سمعت وقع خطاه على مقربة مني، فتنحيت جانباً حتى لا يراني وهو في طريقه للخروج.

*   *   *

في اليوم التالي، والشمس الغاربة "تلفلف آخر أنفاسها من رئة النهار"، كانت بدور ابنة أخي تجلس على غير عادتها أمام بوابة المنزل وقد تخضب وجهها بالدمع واحمرت وجنتاها من غزارة انهماره، يتأرجح رأسها تحت ضربات كفيها.

نزلتُ مسرعة أسألها عما أصابها، بيد أنها حين رأتني أتجه إليها، بادرت بإزالة معالم البكاء واعتدلت في جلستها وهي تحاول أن تخفي عني حالتها، التي ليس لسواها نزلت.

سألتها عن سبب بكائها وحالة الانهيار التي طرأت

عليها، لكنها لم تجبني، بل ظلت تنظر إلي بصمت مخيف..!

عدت أسألها: ما الأمر يا بدور.. هل اعتدى عليك أحد من شباب القرية..؟ فأومأت إلي برأسها، وعيناها مازالتا لصيقتين بي، ألاّ أحد فعل بها ذلك.

أمسكتُها بقوة، وأنا أسألها مرة أخرى: ماذا هناك.. هل حصل مكروه لأبيك، أو لأحد إخوانك..؟ فأشارت إلي برأسها: لا..!

أرعبتني نظراتها المغتسلة بالحزن، فشددت شعرها بعنف، وأنا أصرخ طالبة منها الاعتراف بالجريمة التي اقترفتها.. ما زالت تنظرني بصمت.. إلا أن صمتها لم يدم طويلاً: شفيق كذب عليكم، واستلم مقابل تلك الكذبة كل مجوهرات قريباته، وفي هذه الليلة سيتم عقد قرانه بابنة خاله "ملاح"..!

صعقني الخبر، كانت تتوقع ذلك لمعرفتها بالارتباط الوجداني، الذي يوحدني بشفيق فحاولت دفنه تحت مدامعها البريئة. لكن إصراري على معرفة الخبر هو الذي دفعها لتمزيقي.

لم يكن بمقدوري استيعاب ما أسمعه، ولا السيطرة على قواي الخائرة، حاولت الوقوف للعودة إلى الداخل حتى لا يراني أحد من أبناء القرية فيشيع خبر انكساري.. غير أنني خشيت من انهيار وشيك قد يقذفني من شاهق.. كانت لدي رغبة في الخلاص من نفسي، التي ما عدت أطيقها، غير أنني استدعيت كل قواي الباطنة لحمايتي من حالة اللاوعي، التي بت أقف على مشارفها، فقلت لي: يجب أن أبقى على قيد الحياة، حتى أقف على الأسباب الحقيقية التي دفعت بشفيق

لتدميري بتلك الطريقة، التي ما خلته ينحدر إليها لفرط ثقتي بنبل أخلاقه.

ترنحت قليلاً وأنا أقف على قدميّ حتى وقفت، أخذت أستعين ببدور، التي كانت تشاطرني الصدمة للعودة إلى الداخل، غير مدركة أنني ما زلت على قيد الحياة سوى حين أتحسس أنفاسي، التي مازالت تتأرجح بين الحركة والانقطاع. كانت بدور تحاصرني بنظراتها الصامتة، فيما نبضي -المضرج بخيبة الأمل- يراوح مكانه بين الانحسار والاندفاع. سألت بدور عن حقيقة تلك الأخبار السيئة التي حملتها إلي.. فأجابت: مصادفة سمعت اليوم صباح أخت شفيق تحدث ملاح ابنة خالها بأن شفيق، وقبل أن يأتي إلينا ليلة أمس، كان حكى لوالدته عن نيته القيام بعقد قرانه بك، وما إن غادرها

شفيق، حتى أشاعت الخبر -المشاع أصلاً- بين أفراد أسرته.. مضيفة أنه جاد في قراره، وأن العقد سيتم غداً ما لم يتداركوا ذلك. وما إن خرج شفيق من دارنا ليلة أمس، حتى وجد قريباته جميعاً ينتظرنه في داره وقد حملت كل واحدة منهن كل ما تملكه من مجوهرات ووضعته أمامه، وكي يقنعنه بالعدول عن قراره، تعالت أصواتهن بالبكاء، وأخذن يستجدينه التراجع عن تلك الخطوة التي ستدمر حياتهن الأسرية؛ فأزواجهن لن يقبلوا إطلاقاً باستمرار زواجهم منهن مادام قريبهن متزوجاً بمزيّنة..!

صمتت بدور لتلتقط أنفاسها، ثم تابعت: ولكنه كان شديد الإصرار على عدم التراجع عن قراره الذي اتخذه، غير أن خاله وإخوانه وأبناء عمومته، الذين توافدوا من كل حدبٍ وصوب لينضموا إلى المعارضة

الشرسة، كان لهم الدور الأبرز في إثنائه عن ذلك القرار ورضوخه للأمر الواقع، خصوصاً بعد أن عرضوا عليه الزواج من ابنة خاله ملاح والتكفل بمتطلبات العرس.

وبالفعل، أخذ شفيق المجوهرات، واشترط أن يكون عقد قرانه من ابنة خاله هذا المساء.

بعدما أفرطت في البكاء وغدا الدمع شرراً يحرقني، طلبت من بدور أن تكف عن سرد تلك التفاصيل، التي تهرق ما تبقى من حبي، الذي كُسِر وأصدر أنيناً، وتبادرت إلى ذهني مقولة السيدة أحلام مستغانمي "الأكثر وجعاً، ليس ما لم يكن يوماً لنا، بل ما امتلكناه برهة من الزمن، وسيظلّ ينقصنا إلى الأبد"..!

* * *

.. بعد أن عقد شفيق قرانه بابنة خاله ملاح، طاوياً صفحة حبنا إلى الأبد تنفيذاً لرغبات تلك الجحافل، التي

أتت لمنع ما أسموها الكارثة التي أوشكت أن تحل بهم، قررت أن أقبل بالزواج من أول رجل يتقدم إليّ.

❊ ❊ ❊

لم تمر سوى أيام قليلة حتى أتى صالح يطلب الزواج مني، ودون تردد بادرت بالقبول، وتزوجته على عجل -حسب رغبته- وسافرنا إلى أميركا حيث أعماله وإقامته الدائمة هناك..

لكن، الآن وبعد كل تلك السنوات، ما زال يغالبني الحزن، يقتاتني بشرٍ عجيب ليترك في دنياي سواد المآتم. ما زلت رغم مواتي أردد على طيف ذكراه تسابيح حبي الفريد..!

❊ ❊ ❊

صالح داهمته وعكة صحية مباغتة، عاد على إثرها إلى المنزل مبكراً، على غير عادته، فتح باب المنزل

الخارجي وتسلل إلى الداخل بصمت، كان يرغب بالتلصص على مفاتن من بجوار زوجته، غير أنه حين وصل إلى مسافة قريبة من غرفة الجلوس سمع حديث حب قديم كان قد شك في وجوده مذ عودته من أميركا؛ الأمر الذي دفعه حينها إلى العزوف عن زوجته والانصراف إلى الخطيئة، تصلّب في مكانه لبعض الوقت وزوجته ما زالت بملء ندمها تعترف بعلاقتها العاطفية بشفيق.. حاول أن يقاوم إعصار الغضب الذي ضرب أعماقه حتى ينفرد بها، إلا أنه لم يتمكن من ذلك، سوط من اللؤم ألهب تفكيره ما دفعه لاقتحام خلوتها برفيقتها زينب صارخاً: أنا صبرت عليك كثيراً يا بنت الـ.. لكن، ما دام القبيلي معشش برأسك، ولم تتمكني من الفكاك منه بعد كل هذه السنين، مع أنه تخلى عنك وتزوج بابنة خاله، يجب أن تخسري كل شيء، لتعودي إلى القرية كما

خرجتِ منها.. صمت برهة ثم قال بيأس: لقد أخبرني الطبيب اليوم بإصابتي بمرض قاتل، لن تدومَ حياتي معه طويلاً، ولهذا، لن أدعك تتنعمين بأموالي، بل سأحرمك من كل شيء.. سأرميك في الشارع.. اخرجي..

أنت ....

* * *

كانت زينب لا تزال تقف كطائرٍ ضريرٍ تاه في السماء بعد أن صعقها الموقف المهول، غير أنها تشبثت بتلابيب كيانها قبل أن يجذبها السقوط..

أخذت عتيقة إلى منزلها وهي ترجوها أن تكفكف مدامعها، إلا أن دموعهما امتزجت بأنين موجع..

عند مطلع الفجر، وبصوت متهدج ضعيف قالت عتيقة: أعلم أن ليس بمقدورك قول شيء، حتى وإن كنت أبحث عن كلمة مواساة، أترحم بها على حبي

الـذي وأدتـه العـادات والتقاليـد، وزوجـي الـذي قتلتُـه بيدي؛ لذا يجب أن أبحث عن لفائف ملح كيما أضمد بها جراحي وأنا أوجه رسالتي إلى المجتمع.

عزيزي المجتمع المتمثل بـ.. شفيق، أمه، إخوانه، خاله، أبناء عمومته، قريباته، أزواج قريباته، زوج..، أنتم أيها الـ..: أرجوكم دعوني وشأني، فأنا فتاة لم تنل حظها بالزواج ممن تحب، ولم تنجح حياتها الزوجية، ذلك، أنكم أسميتموها.. مزينة..!

وحشية الوداع

وحدها الشمس.. تعلن السماء حضورها، نهدة تستقيم وشعاعها؛ تلك التي فارقت أعماق (نديم) لتترك خلفها سحباً كثيفة من الحسرة والألم.

يومٌ مغتسلٌ بالأوجاع مذ ومضته الأولى، قهوة صباحه، جرح.. ورغيف فطوره، مضرجٌ بأحزانٍ، يجهلها هذا الشاب الرومانسي، طاعن الغرام.

عليّ سأفقد بعض الأموال، أو لعلها صفقة ستغادرني إلى رصيد تاجر، تربص بمهاراتي التجارية.. كلمات قالها نديم، وهو يربت على ظهر المجهول، الذي بات مصلوباً على مقربة من الجرح.

زفيرٌ يراوح مكانه، ليشق صدره الممتلئ بمفردات العشق، وشهيقٌ متوجسٌ، يمتطي صهوة الخوف ليركلها بحوافره.

ابتلع ريقه مع باقي السويعات القادمة من آخر النهار ولسانه يتلو:

"اللهم جيب العواقب سليمة"!

كانت النجوم تمد أياديها، لتلامس بهاء القمر؛ ذلك الذي يتبادل الهمس مع نديم، وهو يتساقط ضياءً بعد أن أزف النهار غير مأسوفٍ عليه، وأقبل الليل يجر فاجعة ردائه.

❋ ❋ ❋

سكنت نديم حالة من الخراب، واليأس، والخسارة مع إطلالة المساء، لم يكن ليعلم سر الكابوس المتمترس في صدره منذ إشراق نور هذا اليوم، سوى

لحظة بزوغ الصوت من سماعة الهاتف:

هل عندك خبر..؟!

سؤال من الحبيبة (شهد) يذيب جليد الانتظار، الذي أنهكه صقيع خوف مجهول.

كان صوتها جهورياً على غير عادتها.

امتقع لون نديم من رجله حتى قسمات وجهه، انكسر فجأة، وهو يجيب متحشرجاً:

أبداً.. أي خبر تقصدين.. ؟!!

سأتزوج.. يجب أن نضع حداً لعلاقتنا..!!

كانت هذه الجملة المقتضبة بمثابة القنبلة النووية، التي مثلت أحرفها شفرة التفجير، لتدمره مع مدينة الأحلام، التي شيدها بين أضلاعه على مدى ثلاث سنوات.

نظر إلي وعيناه مغرورقتان بالدم/ ع، قائلاً:

هنالك حبيبات ينتجن كل مبررات الإبادة، ويتجاهلن مفردة خالية من الوحشية والدمار.!

ثم صمت.. فسكن الليل معه.

حينها أزعجني ضجيج الصمت.. ليغادرني المكان.

ارتكب البطولات واختفى!!

وأنا أتأمله من شُرفة مطلة على رصيف الذاكرة، في يوم مليء بالمظاهرات والقلق، كان يغادر داره إلى وجهة لا أعلمها، بكامل أناقته وبربطة عنق وردية اللون، يومض وجهه ببريق السعادة على غير عادته..

لفحت أنفي رائحة "البارفيوم"، الذي ينتمي إلى رف دولابي، انتزعت تنهيدة عميقة جسدت حجم المعاناة المرابطة في صدري مذ أعلن هروبه من نفسه إليها، وبقيت أقلب كفي وأسألني:

ترى إلى أين..؟

هل ثمة فتاة استطاعت أن تخترق الحاجز

الخَرساني، الذي حدثني عنه، ذات خلسة، بعد أن سوَّر به مشاعره على مدار نصف عام من الغياب..؟

هاجمني التوجس من المجهول المختبئ؛ فتبلل جسدي بماء الخوف الذي أفرزته مساماته.

علامات استفهام في غمرة الهواجس، تزحف إلى رأسي، كوابيس مخيفة ـ لم أعتدها خارج أسوار مخدعي ـ تتصارع مع صمتي، ينتابني شيء من الجنون حيال أعاصير الخوف، التي تعلن عن ارتباطي بقادم مرعب؛ لهذا غادرت الشرفة إلى الداخل..

غسلت وجهي بماء بارد، ثم توجهت إلى الأريكة الجاثمة في صالة الاستقبال، قبل أن أرمي بجسدي المثقل بالهواجس كان النهار يتثاءب في ساعته الأخيرة قبل أن يرتمي هو الآخر في حضن الليل، وكان الصوت الذي اعتدته منذ طفولتي يصدح من فم التلفاز؛ ذاك

الذي لم يكن يقف في مواجهتي.

تسمرت مكاني وأنا أتفحص صداه الذي طرق مسامعي، غير أن المفردات التي أسمعها تختلف كلياً عن تلك التي ألفتها منه، ما دفعني لمواجهة التلفاز كيما أرى صاحب الصوت الذي يشبهه.

لم أكن أتوقعه على الشاشة، لذلك، كنت على موعد مع الدهشة.. الانبهار.. المفاجأة..!

إنه الطيف الجميل، الذي يلاحقني أنّى رحلت ليبدد أوهامي وآلامي، وقع مفرداته يسري في دمي.

لكن، ما الذي أتى به إلى قناة الجزيرة..؟ وما هذه الكلمات التي يرددها:

ارحل.. سئمناك وعافتك مداركنا..

ارحل.. "كمن سبقوك ما عادت رؤاك مضيئة والليل أنت.."

ارحل.. فقد حولت الوطن إلى شظايا متناثرة في مهب المصالح والأهواء.

ارحل.. أيها الطاغية المستبد.. لقد تواطأت مع الفساد فَغّيب حضورنا.

ارحل.. نريد الحرية والكرامة، اللتين حرمتنا منهما ثلاثة عقود من الزمن.

ارحل.. فقد بعثرت أحلامنا، وجعلت الضوء أحمر.

ارحل.. أيها المذنب، المشبوه، المطرود، القاتل.

ارحل.. أيها السجن، السجان، الفاشل.

ارحل.. حضورك يرسم في مهب الريح إنجازاً وعلى كف الغريق وطناً.

ارحل.. ارحل.. ارحل..

عاودت مذيعة الجزيرة ظهورها، فوجدتُني أخاطبه في الغياب :

ما الذي جعلك تنضم إلى ثورة الشباب..؟!

من أين لك هذا الصراخ.. وأنت الذي لا يصرخ بل يهمس، لا يشتم بل يواسي، لا يدمي بل يشجي..؟!

متى حملت هذه المفردات الثورية وأنت المتسلح بالمفردات العاطفية..؟!

أَلِأنّ لا وطن لك ولا حبيبة.. صرت من نزلاء ميادين الحرية..؟! ذاهباً إلى الموت، كما يذهب آخرون إلى النزهة، كما يذهب الكثيرون إلى المال، كما يذهب المنبطحون إلى الساسة المنتهية صلاحيتهم..؟

لقد صعقني تيار صوتك، وأسرج أعماقي ضوءك المشع من عتمة الواقع.

كنت إخالني أخاطب شخصه؛ لذلك كان صوتي عالياً، سمعته والدتي فأقبلت تسألني:

ما الأمر..؟!

أجبتها بتلكؤ: إنهم شباب الثورة، يطالبون الرئيس صالح بالرحيل، ويدعوننا للانضمام إليهم في جمعة الكرامة، علّه يرى الحشود الهائلة فيعلن تنحيه عن منصبه دون إراقة المزيد من الدماء..!

أثناء حديثي مع والدتي، كان جرس هاتف المنزل يعلن عن مكالمة، ترددت في الإجابة عنها، غير أن والدتي طلبت مني ذلك وذهبت لأداء صلاة المغرب، توجهت صوب الهاتف ونبضات قلبي في تسارع رهيب، حاولت الامتناع عن الإجابة كون التوجس سيطر على كياني المتهالك حد السقوط، إلا أنني أقدمت على رفع سماعة الهاتف بصمت..

بدأني بالسلام بطريقة رسمية لم أعتدها منه، مما جعلني أقف على حافة الشك واليقين، في ذلك الحد الذي تحسمه مفردة أخرى تفصل بين الحقيقة والخيال.

كنت أود أن أقول شيئاً، غير أن الصمت تملكني، فسبقني بنبرة صوت تقف بين الحزن والفرح:

كيف أنت حبيبتي..؟

أخيراً.. ظهر ذلك الصوت، الذي اعتدته حد الإدمان، الصوت الذي كان يدثرني ليلاً بلحاف من الحنان، ويوقظني نهاراً بمفردات من الضوء، صوته الذي لم يعبر هذا الخط الهاتفي منذ نصف عام، بل نصف عمر.

ما استطعت الحديث لفرط احتياجي إليه، استشعر وجودي فلم يصمد أمام صمتي، بل لفظ آخر أدبياته في مسامعي:

يا حبيبة على هيئة وطن.. ثمة نور يشع حين تقترب الـذاكرة منـك، شـلالات مـن الـضوء تتـدفق، روح مـن الغيب تمخر عباب الصمت، أرى وجهك خلل الضوء متهللاً بالفرح، مغتسلاً بالشوق وهو يتأملني، فأفتح لـه صـدري كـيما يـسافر إلى أقـاصي الـروح، يتفقـد حبـات الوفـاء، التـي نثرتهـا يومـاً وقـد صـارت أشـجاراً شـاهقة البهاء باسقة الحضور..

بقدر ما أحبك، بقدر ما أود أن أختار لعمري مسقطه الأخير، لا شيء يستحقني سوى الوطن.

صـمت بعـدها، فتبـادر إلى ذهنـي أنـه يـود سـماعي، فخاطبته بلغة اللهفة:

أنا جائعة إليك..

عمـرٌ مـن الغيـاب وعقـود مـن الحـيرة، دعنـي أتـزود منـك لـسنوات عجـاف قادمـة، مـا بـداخلي يـوحي بغـدٍ

مجحف، دعني أسرق منك لحظة تعيدني إليك، فأنا ما زلت أُقيم في منطقة غير منزوعة الذكريات، أنازل الحب في ورقة، وأحتمي منك بقلم.

لدي أكثر من سؤال معلقٍ بالحلق.. أكثر من عتاب.. أكثر من رجاء.. أكثر من خوف.

توقفت عن الحديث، لأكتشف أنه تركني أحتسي التناقضات في ليلة موغلة بالرعب، أتلمس فيها الخوف وأترقب القادم المجهول بعدما انكفأت على ذاكرتي المتذابحة بتكسرات أمواج الراهن.

* * *

بعد ليلة سادها الأرق، ضرجتها الهموم، تدحرج فيها خيالي إلى حيث لا أرغب من الأسئلة والأجوبة الممنوعة التي لعقته، فارتعش كياني وأخذته موجة المجهول إلى أقبيته السحيقة.

كان نهار الجمعة يحمل إلي أخبار التوتر الدائر بين شباب الثورة، المتواجدين بأعداد كبيرة في ساحة التغيير بدائري جامعة صنعاء، وبين السلطة التي لم ترق لها الأوضاع المتفجرة، خصوصاً وقد ضاق عليها الخناق وبات كرسي الحكم قاب قوسين أو أدنى من السقوط فعمدت إلى تكثيف أجهزتها الأمنية حولهم.. بيد أني لم أكن أكترث لما تبثه القنوات الفضائية، كون غالبيتها تبالغ في نقل الأحداث كي تمرر أجندة ما وجدت إلا لأجلها؛ لذلك كان جُل تفكيري يصب فيما أخشاه على قصة حبي، خصوصاً وقد قذف حبيب العمر ببعض المفردات التي تشير -حسب فهمي الآني- إلى اعتزاله العلاقة العاطفية التي تربطنا..!

لم يكن خيالي قد حلَّق خارج سرب العاطفة التي

تشغله، الهم الجاثم على صدري أكبر من مربعها، الذي حُصِرتُ بين زواياه، لذلك، كانت معاناتي أكثر إيلاماً وأكثر غموضاً.

عادت والدتي من صلاة الجمعة دون أن يأتي معها بقية الأهل، الذين خرجوا لنفس الغرض، سألتها عن السبب، فأجابت:

ذهبوا إلى دار خالك فقد دعاهم لتناول طعام الغداء.

كانت والدتي متعبة إثر مشقة الصعود إلى الدور الرابع فتوجهت نحو الأريكة المقابلة للتلفاز للاسترخاء ريثما أقوم بتقديم الطعام، الذي تأخر عن موعده قليلاً حسب رغبتها.

خديجة بن قنة تعلن عن مجزرة ارتُكبت بحق

الشباب المرابطين بساحة التغيير بصنعاء بُعيد صلاة الجمعة، صور القتلى تدل على دموية مفرطة اتسم بها المشهد، والدتي مصلوبة أمام التلفاز والدمع ينهمر من عينيها بحسرة موجعة..

تركت الطعام وبقيت أرقبهما من زاوية مطلة على الألم.

الصور مخيفة، أعداد القتلى في تزايد، كاميرا الجزيرة تقترب من الضحايا فتظهر وحشية النظام وسلوكه الإجرامي..

أعناق تسيل دماً، رؤوس تطايرت أشلاؤها، صدور عارية عبث بها الرصاص ، قلوب كانت مملوءة بالأمل فجرها بارود الحقد المتمترس خلف المبررات الواهية، دماء ودماء، جثث وأشلاء، صراخ وأنين، غازات

وقناصة، شهداء وجرحى، موت ودمار، كرسي أهلك شعباً بأكمله أو يكاد.

حاولت أن أصرف والدتي عن مشاهدة تلك الصور المفجعة بإحضار الطعام بين يديها، غير أنها أصرت على البقاء ضمن دائرة الواقع المهول، وظل بصرها ملتصقاً بتلك الوحشية المضرجة بالإجرام.

حاولت أن أغلق التلفاز، عليّ أتمكن من إقناعها بضرورة تناول الطعام؛ إذ إن الامتناع عنه سيتسبب في مضاعفات خطرة، خصوصاً وأنها تعاني من داء السكر، إلاّ أنها صرخت في وجهي بشدة معلنةً عزوفها عن الأكل حتى تنتهي من مشاهدة تلك المجازر التي لم تعهدها من قبل، وإن كان ذلك سيؤدي إلى هلاكها.

ذهبتُ بالطعام إلى المطبخ، ثم عدت أشاهد معها:

برك الدم، صور الموت، حركة المسعفين، مفردات التحدي، عبارات الوعيد، ثمن الرحيل، فاتورة الخلاص.

ما زلت بإحدى عيني أرقبها وبالأخرى أصارع الرهبة في حضرة البارود والدم، وبدا لي كأنها ستسقط مغشياً عليها نتيجة تلك الصور المرعبة التي تظهر على شاشة الجزيرة؛ لذلك، كنت أخفي عنها مشاعر الخوف التي باتت تحتويني، حتى لا أشارك سلباً في انهيارٍ وشيك لها.

كانت الساعة تمضي ببطء، بينما الأحداث تزداد وحشية كما يريد المهووسون بالكرسي، لم يتبادر إلى ذهني -وأنا أتقطع خوفاً على والدتي التي جعلها داء السكر لا تقوى على مثل هذه المشاهد ـ أن القدر

يحتفظ بفاجعتي لدقائق معدودة، وإن كان ما أعانيه ينبئ عن قادم مفجع، فثمة كآبة تضع أقدامها على صدري وتكاد تقتلني، حركة أنفاسي تتآكل، الأكسجين يتلاشى شيئاً فشيئاً، ما دفعني لفتح نوافذ الصالة عليّ أستعيد كمية الهواء، الذي استنزفه الغاز الذي يُقذف به المعتصمون رغم بعد المسافة التي تفصلني عنهم.

ما زالت الوحشية تعاود حضورها، فها هو طفل عبث الرصاص بمؤخرة رأسه بعد أن أخذ عينه اليسرى، وذاك آخر تعامل معه على عكس قرينه، أما أنا فما زلت ألهث خلف حبيبات الهواء القادمة من النافذة عليّ أتمالك كياني الذي بدأ بالخروج عن نطاق السيطرة.

والدتي استشعرت ما أنا عليه فطلبت مني إغلاق جهاز التلفزيون.

ما إن وطأ مسامعي طلبها حتى هرولت إليه، غير أني قبل أن أمد يدي إليه، كانت يد القدر قد أطلقت العنان لفاجعتي.. لذهولي.. لصمتي..

توقفت عن لمس مفتاح التلفزيون فتوقف كياني عن الحركة، حاولت أن أتراجع قليلاً علّي أتمكن من رؤية الشاب الملقى على السجاد الأحمر، فعاودت كاميرا الجزيرة تصوير ربطة عنقه الوردية المخضبة بالدم الثائر..

ولكن.. نظراً لتدافع المسعفين وازدحام الجثث لم يتمكن المصور من عرض وجه الشاب، فأرسلت كفي إلى عينيَّ أفركهما، علّي أتمكن من رؤية شيء في ثيابه يدلني على ألاّ حبيب لي هناك.. لقد كان كل ما يقع عليه بصري يشير إليه سوى وجهه، الذي ما زالت جثة زميله تحجبه عني، أضواء التلفاز شاحبة، الصورة تقترب مني برعب هستيري محموم، دوي صوت

طلقات الرصاص يخترق الشاشة ليستقر في صدري.

شبَّت بباطني حرائق الخوف، واعتراني الفزع الأكبر وأنا أرقب الكاميرا تنتقل من شهيد إلى آخر ومن جريح إلى صرخة.

ما زلت أستجدي الصمود من كياني المترنح، علني أجد ما ينفي خوفي أو يؤكده، أود التعرف على الشاب الملقى على ظهره، كاميرا الجزيرة لم تدعني ألتقط أنفاسي، بل عادت لتمر على جثث الشهداء من زاوية معاكسة لتلك التي كانت تبث منها، فأمسكت فمي بإحدى يدي وبالأخرى قلبي، وأنا أنتقل معها من شاب إلى آخر، ومن شيخ إلى طفل، حتى توقفت أمام وجهه الهامد الباسم.

شعرت حينها بشيءٍ ما يستل بقايا أنفاسي ويجبر دورتي الدموية على التوقف.

سارت بي الأرض دون خُطاي فصرخت في وجه الجزيرة:

لاااااااااااااااااا... ثم سقطت مغشياً علي.

* * *

مرت الساعات وأنا لا أعلم ما الذي يدور من حولي، وحين أفيق مذعورة أشعر بصدى مفرداته تهاجم مسامعي، وأرى صورته مصلوبة أمام ناظري والدماء تخضب ربطة عنقه، فأعود لحالة الغياب التي كنت عليها.

كانت والدتي تشرح لمن بجواري حالة الإغماء التي داهمتني، فأستشف في عيونهم الشاخصة إليّ رزمة من علامات الاستفهام، التي قد تكون سرحت بأفكارهم في آفاق بعيدة، كان ذلك يقض مضجعي ويزيدني ألماً وعذاباً، خصوصاً حينما أحاول عبثاً

الحديث معهم لأكتشف أن ثمة كابوساً يجثم على أنفاسي ويمنعني عن الكلام والحركة، وسنان الإغفاء تؤرجحني ثم تطوحني في غيابة الفقد.

كانت قواي خائرة تماماً، وصوتي مخنوقاً فلم أنبس بكلمة، ما جعلهم يعيشون حالة هلع غير مسبوقة، ليس خوفاً على صحتي وإنما على والدتي التي شارفت على الهلاك.

كنت أراهم يستجدونني الحديث، أملاً في شفاء والدتي، بيد أني غير قادرة على فعل ذلك.

* * *

بدأت خيوط الفجر الثالث تتسلل إلى سرير مرضي فبدأت معها بوادر الشفاء تدب في عروقي، ومع طلوع النهار توهجت النار المتأججة في أعماقي، وأحسست التهاباً في حلقي واختناقاً في أنفاسي وحرقة في روحي

وقد تذكرت صحة والدتي السيئة فانتفضت من مرضي مفزوعة أفتش عنها، إلا أنني كنت كمن آب من معركة طويلة ويوشك على الخروج لمعركة أطول.

استجمعت قواي لأنهض، فلم أستطع، أخذتني نوبة ألم شديدة، أكاد لا أشعر بأطرافي منها.

في ظل سكون مخيف حولي كان أنين الباب ينبئ عن قادم، جرت عيناي بسرعة نحو الباب فإذا بوالدتي تناديني:

صباح الخير حبيبتي، حمداً لله على سلامتك، لا تعلمين كم كنت خائفة عليك!!

همّت تقبلني..، أخذتها وقبلت رأسها، ثم دسست وجهي في صدرها، انتابتني نوبة بكاء شديدة كادت أن تعيدني إلى حالة اللاوعي، التي ما انفكت تغادرني، غير أن والدتي ربتت على ظهري وشرعت تحدثني عن

الفبركة الإعلامية التي تتعامل بها القنوات الفضائية أثناء تغطيتها للأحداث، وعن أكذوبة المجازر التي يتم دبلجتها خلف الكواليس.. إلا أن ما كانت تود إقناعي به أعاد إلى ذهني تلك الصورة المروِّعة، التي امتزجت فيها ربطة عنق حبيب العمر بدمه المسفوح غدراً، فصرخت وقد كبلني الحزن:

لقد بتروا بعضي مني..

لقد قتلوه يا أمي..

لقد غدروا به.. حرموني منه

لماذا فعلوا ذلك.. لماذا.. لماذا..؟

سمعني كل من في المنزل، فهرعوا يسألونني:

من هذا..؟

عمّن تتحدثين..؟

لم تكن صحتي تهمهم، ولا حالة الموات التي

تداهمني بين الفينة والأخرى، بقدر تشفيهم فيما لحقني من أذى، خصوصاً، وأنها المرة الأولى التي أسقط فيها فريسة بين أيديهم.

أدركت والدتي الأمر، فأشارت لهم أنني ما زلت أهذي، وأن حالتي لم تتحسن بعد، فعادوا أدراجهم، وعادت تنظر إلي نظرة إشفاق وفي عينيها دمع كثير يكاد ينسكب لولا أنها كرهاً تحبسه، انسدل على جانبيْ وجهها خمارها المعمول من القطن الأبيض كقلبها الطيب، بياضه زادها إشراقاً وبهاء، ثم جذبتني إلى صدرها المترع بالحنان وهي تتمتم بكلمات لم أفهمها، لعلها كانت تدعو الله أن يزيح عني الغمة التي ألمت بي.

سألتها ورأسي مدفونٌ بصدرها، وما زلت أقف بين الوعي والغياب:

لقد استشهد وهو في الخامسة والعشرين من عمره، جميلاً، فتياً، مثقفاً، ينبض كل ما فيه أدباً، فاستشهدت معه، استشهد كل ما فيّ إلا الذاكرة..!!

فهل شعرتِ بمصاب ابنتك..؟

هل أتاكِ نبأ مقتله..؟

أيمكنني رؤيته قبل دفنه.. أم أنهم دفنوه ودفنوا حلمي معه..؟

ما الجُرم الذي ارتكبه ورفاقه حتى يتم إعدامهم بهذه الطريقة..؟

هل البحث عن الحرية جريمة تستحق الموت..؟!

لم تجب، بل حدّقت فيّ بعينين ملؤهما القلق والشفقة، ثم وضعت كفها على كتفي وغادرتني بصمت..!

ما استطعت العودة إلى النوم؛ إذ إن الشمس هاجمت مخدعي واستولت على بعض أجزاء الغرفة، انزويت في

أسفلها، عليّ أتحصن من لسعات الشمس التي صارت تطاردني عن سبق إصرار وترصّد.

في أعماق هذه الحرائق ينمو الوعي في رأسي ليجمع عقلي المتشتت فوق صفائح الوهم، فأسألني:

هل سيعود شباب الثورة إلى الميادين والساحات التي ما عادت لهم، خصوصاً بعدما تساقطت أوراق الخريف وحضر آخرون غير أولئك الذين كانوا، ثم بانوا..؟!

في غمرة الانتصار، هل سيلتفت لصوص الثورة (الحكام الجدد) إلينا نحن الذين أهدينا الوطن أغلى ما نملك، أم أنهم سيجعلوننا وأضرحة الشهداء مزارات لالتقاط الصور التذكارية..؟!

هل بعد تلك الدماء والدمار، اللذان لحقا بنا وبعشاقنا، الذين لم يورثونا سوى فقدهم، سنقف على

وطن يتفيأ ظلال العدل والحرية والمساواة..؟!

يبدو أن جرائم النظام السابق ليست كل سيئاته وسوءاته، بل إننا سنتلظى بجحيم الأيام القادمة، ذلك أننا حين أردنا أن نتخلص من النظام الشمولي العائلي استنجدنا بقطاع طرق التاريخ، الذين بدورهم سيرسمون مستقبلنا بالحبر المعتق بالسواد، وسوف نرى القتلة.. والخونة.. ورؤساء العصابات.. وتجار الحروب.. واللصوص.. محترمين يتحدثون باسم اليمن الحديث.!

كان المكان مستباحاً، لم أستطع الاختباء من حرارة الشمس، التي أنهكتني وأنا أبحث عن وسيلة تخرجني من هذا المكان، غير أني بقيت مسلوبة الإرادة أركض من زاوية إلى أخرى.. شعرت والدتي بلهاثي ففتحت باب غرفتي، لتجدني مستحمة بالعرق وعينيّ شبه مُطفأتين، أمسكت برأسي، وهي تخالني مصابة بنوبة

برد شديدة..

بـذلتُ جهـداً اسـتثنائياً كـي أبقـى قويـةً ومتماسـكةً أمامها رغـم التوتر، كنت أرد على نظراتها الاستفهامية، التي تحاول الاكتشاف، بابتسامة حمّلتها أقصى ما أملك من صمود، غير أني حين لمحت تلك الطفلة الصغيرة، التي كانت حلقة الوصل بيني وحبيب القلب تقف إلى جـوار البـاب، اسـتبد بي الخـوف، وقهـرني وجههـا المغتسل بـالحزن فلـم أسـتطع حبس دمـوعي، بكيـت، صرخت، مبددةً كل ما لدي من قوىً مصطنعة..!

* * *

أرسـلت عينـيّ، رميـتهما بعيـداً، ودون أن أشـعر وجدتني أتسلل بين الرؤوس المتزاحمة، على مسافة قريبـة مـن الخـشب المحمـول عـلى الأعنـاق والثـوب الأبيض.. كـان "ضـياء"، يـودعني باسـماً في طريقـه إلى

السماء، ابتسمت بكل ما أوتيت من عافية ثم دخلت في نوبة بكاء لا دموع لها.

حاولت والدتي أن توقف نحيبي دون جدوى، غضبت وتركت المكان.

ساعتئذٍ سألتُني:

كيف ستغفو أعين الساسة، وما تزال عيوننا شاخصة تدعو عليهم وهي ترقب المسار السياسي، الذي سلكوه على أرواح أهالينا..؟!

ما زلت أرسل ناظري إلى الطفلة الصغيرة "نور"، وقد تضرج بالوجع، وأرهقته صور الفجائع المتكررة، بينما الحزن يسافر في عينيها راجلاً، عارياً، كاشفاً عن تلك الحقيقة، التي كرهاً أفتش عنها:

أين أخوك "ضيـــــــاء"..؟!

قالت، وقد توارى وجهها خلف كفيها:

"قتلوه العسكر"..

صامتةً رميتُني على الحائط، يئن من مصابي هروبي..!!

رفعت يدي إلى السماء حامدةً الله في هذا المصاب الجلل، أخذت " نور" إلى حضني، قبلت بين عينيها قبل أن أجتاز سلكاً شائكاً، أقتفي أثر ذلك الشهيد، الذي ارتكب في حقي كل تلك البطولات، واختفى..!!

فلذة كبدي الـ.. يكبرني عطفاً

حين تقف الشمس بمحاذاة أنفي، أشعر برغبة للهروب إلى تلك التلة القريبة.. أود البحث عن روحك التي تحلق في الأفق وهي تتأملني بصمت.. أتراك تشعر بذلك يا ولدي..؟ لعلك -يا فلذة حرفي- غير آبهٍ بحبي، الذي أضحى يغطيك كغمامة مسافرة في مداك، وبملء صمتك ترفضه..؟!

ثمة شهقة، عسجدت فيَّ وأنا أرقب نموك على راحة يدي وراحة فؤادي، وأخرى، غادرتني وفي يدها تراتيل أحلامي، التي رأيتها فيك مذ وطأتَ دنياي، التي ما عشتها قبلك فعشتها فيك..

لذلك، كن حيث أراد لك القلب.. فأنت يا نبض نبضي.. أنا.

وأنا، إن كنت آثرت من دنياي، فإنه لغدك الذي ما زلت أنشده وقد أفنيتُني لأجله.

- رهن إشارتك يا أبتِ.. أفعل ما تأمر إني لك من الطائعين..!!

- هذا ظني بك..

- قرأت لك الكثير، وترعرعت على تلك الحروف السامقة حد السماء، يؤرقني بوحك الحزين، ويحزنني ألمك المهرق حد المدى، أتكتب نفسك يا أبتِ..؟

- ليس بالضرورة، لكنني أكتب..، علَّني أستوحي كتاباتي من ذلك النزف الصامت.

- لكنهم يتحدثون عن تناولك للهم الإنساني في كتاباتك بطريقة فيها تمرد على الواقع..؟!

- في الواقع، أنا أعشق التمرد حد الإدمان، بشرط أن يكون ضمن الدائرة التي حددها الشارع، في أغلب الأحيان أشعر بروحي تتمرد، فتهرب مني دون إرادتي، ألحظ مفرداتي تتمرد على قلمي الذي كوّنها حبراً على ورق. يبدو أنني أعيش حالة هذيان حبري متمردة، لا تنتمي إلى الحالات العقلية المشوشة، وإنما إلى الإدراك الحسي المضمخ بمرايا الوعي، التي آمل أن لا تكون مقعرة.

- هل ذلك التمرد رغبة فيك، أم أنه مناخ تتبعه لترى فيه ذاتك وتقرأ فيه طقوسك التمردية..؟

- لعله مناخ أنأى إليه من تلك الرتابة التي نعيشها،

ورفضاً لواقع اجتماعي أكسبوه صفة الثوابت، لتثبيت زيفهم على مساحة جهل المجتمع؛ لذا، فأنا أرغب في التمرد على ما يعتبرونها ثوابت اجتماعية، لا يجوز الفكاك منها، كأن أحجم عن زيارة صديقي يوم عرسه مصطحباً الخراف والهدايا، أو أمتنع - مثلاً- عن ارتداء الجنبية ولبس الثوب و"الغترة"، أو أن أذهب للمشاركة في تسيير "هجر" مرتدياً بدلة وربطة عنق، أو أن آتي بمقرئ ليتلو القرآن في يوم زفافك، أو أن أرتدي نعلين وأدخل بهما أحد مساجد صنعاء القديمة لأداء الصلاة، أو أن أتحدث بالهاتف إلى زميلتي في حضرة زوجتي متجرداً من الخوف الذي اعتدنا عليه معشر "القبائل"..!

أو أن ألج قاعة المحكمة، وأنا ارتدي خفين

متخـالفين قـد يلحظهـما جميـع مـن في القاعـة باسـتثناء القاضي ومعاونيه ..!

ربـما تتهمنـي بـالجنون أو الخـرف، أو قـد أتعـرض للاعتداء مـن جمهـور العامـة، إذا مـا أقـدمت عـلى ذلـك، خـصوصاً، عنـدما يروننـي منـتعلاً حـذائي داخـل حـرم الجامع.

لكنني أتساءل.. ترى لماذا سيقف الكل ضد رغباتي.. مـع أن بعـضها أو كلهـا تقـف تحـت سـقف شريعـة الـسماء، وليس فيها تعدٍ على الثوابت الوطنية؟!

لعـل ذلـك مـن بـاب الحفـاظ عـلى المبـادئ، التـي نحتها الساسة على أبواب ثوراتنا الـــ فاشلة..!!

مع هذا، ثمة تمردات تعلن عن نفسها في هذا الـوطن الكسيح، الـذي يبـدو سـاحة مفتوحـة لتمـردات مـن نـوع

خاص، لا علاقة له بتمردي أنا سارق النار..!

صعدة، تتمرد على نفسها.. الضالع، تستجدي التمرد في تمردها.. عدن، هي الأخرى تناضل من أجل التمرد.. حضرموت، تنام وتصحو على زخات تمردية متفردة.. أبراج الكهرباء في مأرب، يمردها (كلفوت) وأمراؤه.. شعراء الحداثة، أيضاً لهم تمردهم الخاص.. وحتى النحاة الجدد، يحاولون التمرد على سيبويه ورفاقه.. الجميع، يريد التمرد، ويسعى من أجله، باذلاً كل ما بوسعه، في ظل أجواء ملائمة لتحقيق الرغبات التمردية الكامنة.. وحدي، أعجز عن التمرد كما أحب، حتى قلمي، الذي كانت هنالك بعض النبوءات باحتمالية إعلانه التمرد على الواقع المُلَغمَّ بالإحباط، سقط مني في إصلاحية سجن تعز المركزي، أثناء قيامي بعمل

تحقيق صحفي لإحدى الصحف المحلية حول وضع الإصلاحيات في السجون اليمنية، ودورها في تأهيل السجناء.

العجيب في الأمر، أنه سقط في قسم المصحة النفسية، حيث يقطن المتمردون على الوعي، ربما هم الأجدر بكتابة ما أحلم به؛ لذلك تم التخلص منهم، كما تخلص مني ذلك القلم، الذي عجزت عن تحقيق أحلامه. ما زادني ألماً وحسرة، أنه أصبح خلف القضبان، تتقاذفه أقدام المجانين ويمرغون حبره في التراب..!

حينها، هاتفتُ رئيس نيابة تعز بلطف ورجاء، علّه يأمر بالإفراج عن قلمي، أو أن يسمح لي بزيارته بعدما أصبح أنينه المكلوم يصل مسامعي، غير أنه تجاهل طلبي، وارتفع صهيله ضاحكاً: اتركه لعله يأخذ الحكمة

من أفواه المجانين..!

ساعتها وقفت غاضباً أسألُني: أكان ذلك القول صواباً، أم تراه عنواناً لتعاستي؟

لا أدري ؟

ها أنا اليوم، في غربة، وحزن، وقهر، وعذاب.. لكنك سعادتي.

- حقاً يا أبي..؟

- نعم يا بني هو ذاك.. كل الآلام تتلاشى في وجودك..!

- ماذا بوسعي فعله كيما ترضى عني..؟

- ثمة أشياء كثيرة، لكن، إن كنت تبحث عن الصراط المستقيم، الذي أود لك عبوره في بهاء اليقين، فلا تغادر الخارطة التي تشير بوصلتها إليه، وارحل في المدى عبر ذبذبات الندى، لحظة هميله، قُبيَلَ

هسهسات الصبح..!

- ما أجمل ما تقول يا أبي، وما أبلغ ذلك المعنى الخرافي الذي يومض في أبهى معانيك.. غير أني كلما فاض بي الشوق إلى كلماتك توزعتُ ودهشتي بين الفكرة وجمال المفردة وانسيابية النص، ذاهلاً أجري خلف زحام الإبداع، أتحسس نصائحك كنحلة تقفز بخفة فوق الزهور ترتشف الرحيق.

- ما دمت كذلك يا بُني، سأسدي إليك بعض النصائح التي أعدها لحظات عمر لا تدوم:

في البداية، اعلم بأنك من سأتكئ عليه حين تترنح قامتي المتهالكة بفعل الزمن المحشور بين أصابع قدمي، لذلك أقبلْ إليَّ، فكم طال انتظاري وأنا أحلق بناظري في الأفق عليّ أراك فأستظل بنورك وأستنير

بمرآك المشع في عتمة الرحيل المكشر في وجه ما تبقى من عمري، واسمع مني هذه الكلمات المولودة من رحم اللحظة، وكلّي ثقة بأنك ستستظل بها وتظلل أكتافهم العارية:

لتعلم يا بني أن أباك سرقته التجارة من المدرسة، وصرفته الكتابة عن التجارة، ثم ارتمى على طاحونة الشرود، فأصبح هشيماً تعافه الرياح، فإن توسدتُ التراب فارفع رأسي بشموخ مكارمك ونبل أخلاقك وبثروة العلم، التي أدعوك للغوص في أغوارها وارتشاف مَعِيْنِها الصافي.

وكيما تنال ذلك، عليك أن ترتوي من أحرفي المهرقة على هذه الصفحة العارية إلا من بقايا حياة:

-إياك أن تتخلى عن أخلاق الإسلام ومبادئه .

- دع عنك اللهو واخلع عباءة الطفولة - التي ما زالت ترتديك - وحلّق في السماء التي اخترتها لك وأنا أرقب سموك من زاويتي الممتلئة بالأمل.

- اجعل لك قسطاً وافراً من الثقافة العصرية الواسعة بعد أن تشد وثاق أفكارك بأصول المعتقد الصحيحة.

- لا تحجب عنك تلك الصور الثقافية، العلمية، المزروعة بين أشواك الخطيئة؛ بل كن على حذر من أن يقع الشوك في عينيك فيفقأهما.

- كن صادقاً مع نفسك قبل أن تبحث بين الناس عن مساحةٍ للصدق.

-لا تتخلَّ عن الأصدقاء ولا ترمِ حبالك بين أيديهم.

-احتفظ لنفسك ببعض الأسرار التي لا يعلمها سواك.

-لا تنسَ أن تفتش بين أصدقاء أبيك عمّن تختاره ليكون مرجعاً يُمكِنُك العودة إليه حين تحاصرك الشدائد .

- ازرع الأخوة يا صغيري بين إخوانك علّك تجني ثمارها حين يشتد القحط الأسري وتتهالك روابطه، فقد يعوضك الله مما حُرِمَ منه أبوك.
- كن كثير البكاء حين تخلو بنفسك، وإياك أن تظهر انكسارك للآخرين، ولا تسرف في الضحك فإنه يقلّل من قيمة المرء ويحط من شأنه.
- اجعل من أبيك معلماً وقدوة، وأشهر سيفك في وجه من يرميه بسوء، ولا تعبده فإنه لا يغنيك من الله شيئاً.
- قبل أن أسمعها يا أبتي، كنت كغيمة تائهة في ليلٍ يشق عباب عتمته عويلُ عواصف متناطحة، فشعرت بضوءٍ يسري فيَّ وأنا اتشربها. كم أنا فخورٌ بك وبالدروب التي رسمتها لي بوجيب عطفك ومرآة السماء.

* * *

لم يكن يعلم وهو يكتب هذه الرسالة، أنه سيجد الفرصة لإسماع ولده، ولم يكن الابن يدرك أنها ستقع في يد ولده هو الآخر..

* * *

بحث عن والده ليعيد إليه الأمانة التي ورثها عن جده، غير أنه عاد وفي يده الورقة التي سعى إلى تجديد أحرفها بعد أن نال منها الزمن وحفظها في ميراثه.

خارطة السقوط

وهي تسير في عيني بخطى صامتة، كان ظلها يطل من شطآن محاجري كمسافرٍ يتأبط فاجعة الغياب..

لا أرى شيئاً أمامي غير ضوء الفجر يرسم خارطة السقوط.. ولؤلؤة تدير ظهرها إلي، وهي تسبح خلفه..

تبلل خدي حين وطأته أقدام السنين، فطاف في وجهي صفار الانكسار ..

إلى أين سيدتي..؟!

أجابت، وهي ترمي نفسها في حضن الطين:

"الثقة مثل الدمعة إذا سقطت لن تعود".

تنهيدة البُعاد

جمعت أشياءها، وانتعلت ثلاث سنوات من العلاقة العاطفية التي كانت تربطها بـ(ساري)، بعد أن أجبرها والدها القادم من عالم الوجود اللاآدمي على الارتباط بفارس تعاستها وعنوان شقائها الأبدي، الشاب الطاعن أنانية ، الغارق في وحل اللاإنسانية.

أتت (شهد) إلى مقربة من (ساري) وقد اختبأت داخل حجاب أحمر مثل قلبها النازف، وعلى وجهها بقايا دموع، لم يستطع مسحوق (شانيل) إخفاءها كلياً، قاذفةً بسؤالها المتقاطع مع نظراته:

من أنت..؟

وهي بهذا (البارود) تحاول مجبرة أن تمحو تاريخها العاطفي، الذي خلّدته القسوة المعمولة من أديم الوجع.

ظل (ساري) على صمته وتكسرت نظراته، وقبل أن تكرر سؤالها، أجاب وقد تماهت أناه مع وجوه الحزن:

إن تسأليني من أكون ..

فأنا.. فاتحة القهر وخاتمة الألم.

أنا.. قنديلٌ كسيف أرهقه المساء.

أنا.. الصادي الذي يبحث في البيداء عن منهلٍ ينقذه منه.

أنا.. تنهيدة البعاد وسيمفونية العذاب.

أنا.. همس السهاد وترانيم السدف.

أنا.. الخيوط المتساقطة من جذع الضوء، القادم من

أقصى اكتمالاته.

أنا..

أنا..

أنا.. لست أعلم من أنا..!!

ارتسمت علامات الإجهاد بعينيها وهي تسير إلى الاحتضار حافية القدمين، لم تحاول التراجع إلى الوراء، رغم دربها الموشوم بالنزف..

لعلها في تلك اللحظة أدركت بأنها بدأت الدخول في طقوس الموت الحقيقي فتنهدت باسمةً، وهي تشيّع نبضها إلى مثواه الأخير.

الطريق إلى الفخ..!

بينما أخذ الضوء يرسم خارطته البنفسجية على ورق الشجر المغتسل بالندى، كانت (نجاة) تمزق ستار الليل البهيم وتركل رغباتها المتمردة، التي دثرتها طيلة مراهقة ونصف عقل..

لوت ذراع ماضٍ مظلم وألقته من شاهق، بينما مدت الشمس أسلاكها بين سفوح حيرتي ووهاد ذاكرتها، امتلأتُ غصة، وأنا أرمق ثورة تومض من ثغر حاضرها قبل أن أمتطي صهوة فضولي وأكر في أعماقها أوقد جمرات الأمل التي طُمِرَت برماد النسيان.

كانت نبضات الدفء في داخلها تزيح عني عناء الكر ورهبة المكان، وكانت كرُيات دمها تهدهدني وأنا أسافر

فيها كأنني أمتطي الريح في طريقي إلى سدرة منتهاها.

لكن، ثمة أحاسيس غريبة تخللت روحي وأنا أتلمسها من الداخل، أنا الذي لم أطأ أعماق امرأة من قبل، ولم أكن أنوي فعل ذلك. غير أني ساعتها تأملت في تلك المساحات الشاسعة والمنحدرات النائمة في حضن الظل وهي تصافح شبكة الجسور المعلقة بالسماء، وجال ببالي وأنا أرتقي آفاقها العلوية أن أتصفح ذلك الألبوم، الذي أتيت من أجله فألامس واحداً من الأزرار المتراصة بعناية على جانبي المسير، لذلك، تركت يدي بطولها تمتد إلى ذلك الزر الحلزوني، الذي يقف بمحاذاة حلمة الأذن، كنت أفعل ذلك مع جهاز الكاسيت حينما أود سماع معزوفة أم كلثوم "أنت عمري" عندما أخلو بنفسي وأجول في سماوات خيالي، غير أنني هذه المرة في أعلى قمة من الداخل

فوق لوحة يميل لونها إلى لون القمح، هانئاً استلقيت بعد أن أدرت الزر باتجاه اليمين برفق. سال صوت نجاة من منبعه:

لأني ما توقعتك، ذُهلت حين وجدتك هنا، ذلك لأني كنت ألوذ بصمتي الذي عشت فيه وتعايشت معه. لكن، بما أني امتلأتُ بحضورك سأقص عليك ما كنت امتنعت عن إطلاقه:

توفيت والدتي وتركت وحيدتها المدللة في مهب الضياع، فتزوج أبي بامرأة أخرى تبتسم للنهار وتكلح عند الغروب، وكان إخواني مرتبطين بمدارسهم صباحاً وباللهو مساءً، كان الجميع يتركونني في المنزل وحيدة يحاصرني الضجر ويزرع في مخيلتي وهماً متمرداً، سرعان ما لامسته بعض الصديقات، اللاتي عملن بقانون حق الجوار وشغلن فراغي بحضور جرّني إلى

سراديب الفوضى اللاأخلاقية، التي أوصلتني إلى تخوم الهلاك..

كانت بوصلة مراهقتي تتحرك بحرية مطلقة، لذلك تأثرت بشيطان إحداهن، ذاك الذي كان أقوى من خط دفاعي المنهار، ليستدرجني إلى الخطيئة دون أن أشعر، وإنما شعرت بإبحاري دون شراع في يم المغامرات والمتعة، تمنّعت في البداية، ثم أحببت الأمر، لأمتهن معاكسة الرجال عبر الهاتف فأعيش كل يوم قصة حب جديدة، وفي نهاية كل قصة يسقط بطلها مضرجاً بخيباته ساعة يكتشف انشغالي بغيره.

كان غالبيتهم حين تلسعهم نيران غيابي، يبكونني عشقاً وهياماً مما يزيدني حماساً للعبث بمشاعر آخرين. وبالرغم من أن تعدد العلاقات وتزاحم المكالمات يقتل الحب الحقيقي لدى من يمارس فواحش الهاتف،

إلا أنني، ومع قصص الحب الكاذبة التي كنت أصطنعها لكسب ود المتصلين، وقعت في قصة حب حقيقية كانت بمثابة القشة التي قصمت ظهر انحرافي..

ففي إحدى الليالي هاتفني شاب بالخطأ.. كان يبحث عن زميل له، غير أن مكالمته أخطأت طريقها لتستقر في كبدي، كرر اتصاله بعد أن أخبرتُه أن هذا ليس هاتف زميله الذي يبحث عنه، فنهرته بكلمات قاسية بحجم إحساسي بالذنب الذي اقترفته منذ زمن موغل بالخطيئة، لكنه لم ينبس ببنت شفة، بل اكتفى بإغلاق سماعة الهاتف في وجهي، ما أجبرني على الانحناء لفيض مشاعري المتدفقة، والتي لا أعلم من أين أتت ولا كيف تواجدت بأعماقي؛ القاحلة بفعل التصحر العاطفي الذي أصابني نظير ممارستي غير السوية. بقيت أتردد على مهاتفته بطريقة لم أعتدها من

قبل، وهو ما منحه القدرة على التحكم بشراع مشاعري، ليأخذني إلى دائرة نزواته الطائشة بعد أن أفقدني السيطرة على ذاتي. وبما أنني لم أمارس جريمة "الزيغ" من المنزل من قبل، إلاّ أن وقع كلماته المعمولة بعناية فائقة كان قد أشعل فتيل رغباتي الكامنة، ما جعلني أقبل بالخروج معه والاختلاء بشياطينه المتعفرتة، وحينها لم يدع لي حبه، الذي توغلني الفرصة كيما أحتاط لأنوثتي الضعيفة، فكانت رغبته المتوحشة قد رشحت بُعيد ولوجي داره الخالية إلاّ من صديقه الواثب على رغبة الافتراس، وأمه –المتخفية– التي ترصد بوادر جريمة كانت رأتها في المنام.

رميت بجسدي على مخدعه المعد لاستقبالي، فطلب مني أن أخلع شرفي، كيما يمرغه في وحل ممارساته القذرة، بيد أني رفضت الاستسلام له حتى لا

يُعاقب غيابي بالحضور، فاستنجد بصديقه لتكبيل انكساري، توسلتهما بدموعي المغتسلة بالدم، غير أنهما أصرا على هتك أستاري، وقبل أن يقعا مني موقع السكين من الذبيحة هاجمتهما المرأة العجوز، فانتفضتُ نحو الباب كحمامة غادرت الموت، ملقية بنفسي في أحضان الضوء وقد عاهدت الله، الذي وهب لي الحياة برؤيا ألقاها لعجوز في منامها أن لا أعود لما كنت عليه حتى أراه.

هذا كل ما جرى، وشيء من نزف الذاكرة فلا تعبس أيها الحلم، لعلي تواطأت معك أثناء اجتياح سراديبي الباطنة، ولن أدعك ترتب انسحاباً تكتيكياً يدع لك أثراً، قد يتخلق يوماً ما فيصبح كائناً انتهازياً يعبث بقلة حيلتي.

ضج بي المكان، أنا الجسد المعلق بالذاكرة، فوجدتني ووجهي نتدافع للخروج، رأيت منفذين أحدهما يلحق بدقات القلب، والآخر يطل على كرة تسبح في بحيرة شاطئها يطل على الطين من شاهق.. تدحرجت نحو البحيرة حتى علقت بتلك السفينة التي تأخذها الأمواج نحو الضوء. رأيت باباً مشرعاً نحو الفضاء، فاغراً جفنه وقادماً نحوي، ورأيت طفلاً يرتدي البياض نائماً على الضفة القريبة، والفراشات تداعب براءته وترقب إبحاري، ألقيت عليهم تحية مرتبكة، وأنا أتشبث بالسفينة، التي تسير بفوضوية نحو الحافة، انتابتني حالة توجس مريبة، وتراءت لي خارطة سقوطي.

كانت سماء المكان ترخي جفنها وتحدق في

العبور، فأغمضت عينيّ وتركت قلبي يمسح المسافة الفاصلة بيني والارتطام.. وليس سوى هنيهة حتى سمعت صوت نجاة تقول: وداعاً أريد أن أنام.

وقتها، وجدتني أحلق في الفضاء بعدما اصطدمت سفينتي بالحافة وقذفتني إليه.!

وطن على خاصرة دمعة

ذات صباح، وأنا أسير راجلاً في أحد أحياء العاصمة المشهورة بالثراء، وأثناء انشغال عينيّ بتصفح المظهر الخارجي للمساكن الفاخرة، التي كاد يطفح بها ذلكم الحي الذي لا يقطنه -على ما أظن- إلاّ حمران العيون ومجموعة بسيطة من المغتربين وشيء لا يكاد يذكر من أصحاب الطبقة المتوسطة، لفت انتباهي-المشدوه- رجل تجاوز العقد السادس من عمره، تسللت إلى أعماقه متاعب الحياة اليومية، فتحدبت قامته، وترنح شبابه، وتعرجت بشرة وجهه، التي تخفي خلفها سنوات عمره المهرق في خدمة الوطن.

كان القهر الواقف في مهب الحياة قد لسعه بطريقة متوحشة، وكانت الشمس بحرارتها قد أجبرته على الارتماء في أحضان الظل المطل على شرفات عذابه.

الدموع تخضّب وجهه الذي ارتسمت عليه معالم الوطن، تنهيدة تسللت بين خيوط الألم الذي يعبرني بعد اصطدام بصري بتفاصيل المعاناة القادمة من ذلك الكهل..

- ماذا هناك يا أبي..؟ ولماذا كل هذا الحزن المغتسل بالدموع..؟

أسئلة قذفت بها شفتاي النائحتان حد الغياب.. لتتحرك على إثرها عيناه باتجاه وقوفي المصلوب حد الذهول..

كانت إجابته مقتضبة كلحظة السعادة التي مرّت بجوار شقائه الأبدي:

" ثلاثون مليون ريال".

لم يتحدث بعدها، كان يحاول أن يفلت من أسئلتي، التي تتدحرج على الرصيف المغتال بطاعون الفساد.

سألته: ماذا تعني بهذا الرقم..؟

أشاح بوجهه ناحية السور القريب، والذي بدوره ربما أوحى إليه أن يصمت..!

ما زلت أستجديه الحديث لفرط احتياجي لاكتشاف خارطة حزنه: أدرك أنك لا تستطيع الحديث كونك مصاباً بحزن الأنبياء وجوع الكبرياء، غير أني لن أدعك حتى أعي ما تعنيه الثلاثون مليون ريال، التي تحدثت عنها..؟

- يا بني.. ليست سوى كلمات قالها صاحب هذا القصر وهو يخاطب أحد العاملين في الداخل، يبدو أنه من قام بعمل الزخرفة والنقوش. أرقام مثلت بالنسبة لي صدمة كبيرة، أنا الذي لم يلامس كفي اليسير منها، بل لم أشاهد حتى لمجرد المشاهدة طيلة حياتي، العامرة

بالفاقة، مبالغ بهذا الحجم، لذا شعرت حين طرق مسامعي هذا الرقم المهول أن الأرض التي تحت قدمي تسير بي دون خطاي، وكدت ألفظ آخر أنفاسي المتهالكة وأنا أستعيد ما سمعته للتو.

هذا القصر يا بُني لقائد اللواء الذي استنزف عمري تحت قيادته.

أربعة عقود من الزمن تساقطت فيها حلقات شبابي، واندثرت بين ثناياها كل أحلامي الصغيرات، دثرتني الوطنية بأغطيتها الجافة، وزملتهم بأكوام الترف المنسوجة من أديم أوجاعنا.

أبحث عن بعض الفتات كي نحافظ أنا وأبنائي على ما تبقى من رمق الحياة، ويدفع ثلاثين مليون ريال مقابل أعمال زخرفة في قصره المتواضع..!

يا الله..!

قالها، والتحف القهر الذي فصلني عن باقي الكلمات التي حاولت. عبثاً. استخراجها منه.

صرخت مآسيه فاخترقت الواقع لتستقر بين ضلوعي، التي أنهكها الحزن، تأرجحتُ بين الصمت والصمت، لا مكلوم سوى الأنين.

اجتاحني كوم من الأوجاع، انتابني مشهد القيامة، المصلوب على مساحة قريبة من حياة هذا الرجل وتمزقات الوطن.

كانت خطاي المتقهقرة تلثم وجه فضولي، الذي حشرني مع الألم ما إن تصفحت تفاصيله التي يطفح بها الشارع اليمني.

أخذتُني وتأبطت أوراقي، التي باتت لا تطيق قلمي

النازف المنتعل لطموحه المادي، كانت وجهتي حيث لا أدري.. وحدها خطاي من تفقهها!!

" في هذه الحياة ليس صعباً أن يموت الإنسان ولكن صنع الحياة هو الأصعب"

ما زلت مشدوهاً يلتهمني الذهول، غادرني المكان، ولم تغادرني صورة الوطن المرسوم على تقاسيم وجه الرجل العجوز.

لحظاتٌ وجيزة حتى وجدتني أفترش الأرض، أذرف جزءاً يسيراً من تفاصيل الحوار الذي دار بيني وبيني والأسى على هذه الصفحة.

بعد أن سال الحبر الدامع، انصرف وجهي شطر الطين النائم في أحضان الوطن، فوجدت الأخير يبتسم وعينيه يعتصرهما الدمع.

نسيم أبدي المساء

في القلب نبضٌ، بقايا نبض خلفته الذاكرة، **غيمة تتهجى الأفق**، في عين زهرة تدَّخر في جبينها بعضاً من ذاكرة البرق .. مطرٌ ينبت من ورق السنديانة المقدسة ويغسلها .. برزخٌ يجمع في يديه أوراق عمري المتساقطة إيذاناً بقرب انتصاف القدوم..

لا.. لست أبحث عن محال في يد الغيم أو بين موجات الهزيم، آثرت أن أمضي إلي.. إلى ركامي.. إلى ضياعي.. إلى ما لا تعلمون..، علِّي أمارس طقوسي التي كانت..!

يا أنت.. يا كل الحروف..، يا عزف أحزاني ولحن مواجعي: خذ بيد النهار، وارسم بريشة الشفق المسافر

خطاياهم وهم.. وتلك النزوة الثكلى، أُصْلُبْ على صارية الغروب ظل الغيمة الأنثى، ونهدتها، صلِّ صلاة الخوف، وأقم لأجل الروح قدّاس الأمل.

ما زلت .. أحدثني وسط فوضى الصمت وقد آنست ناراً تتدحرج عند حافة التل. كان دبيب العتمة يسري نحو الأفق بخطوات متباعدة، والنسيم يركض خلفه ملتفتاً إلى مصدر الشهب مسعورة الشرر..

زهرة الليلك ترتدي زي غجريةٍ وتبتلع الهواء بجنون.. النسيم ترك وجهته الأولى ويمَّم نحو اللهب..، النجوم تهاجر من سمائنا لاهثة وراء اللامستقر..، العتمة تلعق بقايا الضوء...

ومضة نارية لمست مداركي وانطفأت.. أحسست برغبة لمجاراة النسيم العبور على صراط اللحظة، غير أنني حين وقفت على مرمى نَفَس من مصدر اللهب أدركت ألاّ سماء هنا ولا شهب، لعلَّ ثمة كائناً بشرياً

يحاول – عبثاً- التدرب على رماية المنجنيق فيرمي به صخرة بالقرب، ما زلت غير متأكد من ذلك.. رفيقي طلب مني البقاء عند جذع النخلة المواربة للحدث وعرج منفرداً إلى الأعلى.

توقف.. ثم التفت إلي.. قلت في خاطري: لعله سيطلب مني اللحاق به.. كنت أشتهي ذلك.. غير أنه خاطبني بهمس: لا تقتفِ أثري.. يجب أن تقتفيَ خطى الثورة باستماتة حتى تدركها.

بقيت أهز جذع النخلة التي غلفها الجليد، وأرمق معراجه بتوجس وقلق.. حاول نعاسٌ خجول مداعبة مقلتيَّ فتساقط برد رمادي أيقظهما، بدأت أنظر هناك، إلى الجهة المقابلة، لأرى فراغاً تأكله الريح.. أنفاس زهرة الليلك تمور في الأفق..، مصباحاً باهتاً يُضيء..، فتاة تقف على شرفة القصر المنيف، تتأمل اللاشيء وتتكئ على كومٍ من الأوجاع، والنسيم يقف على

مقربة من رمشيها. ما زلت مذهولاً أحدق، فيما اللحظة تبسط نفسها أمامي بعري صادق .. مدَّ النسيم يده لمصافحتها، فأدارت وجهها عنه، ثم عاودت النظر إليه.. وبصوت ممزق سألته:

- من هذا الذي يهديني قشعريرة المواساة..؟!
- أنا ..!
- من أنت.. لا أراك؟
- تشعرين بوجودي.!
- أشعر.. لكنني لا أراك، كل ما أراه هو ضياعي وتطفلك عليَّ في هذه الساعة المتقدمة من الوجع.
- هوِّني على خديك كل هذا الاكتئاب .. أنا نسيم الليل.. جئتك من أقاصي الأفق، أتهجى مسامات تفاؤلك باليقظة.
- وهل تعنيني اليقظة إن كانت تتجاهل كثيرين تحتاجها ضمائرهم، وتذكر التعساء أمثالي، لتذكرهم بما صنعه

الآخرون بأيامنا.؟!

- ثقي، لو أنهم يستحقون لذهبت، لكنك الآن في نطاق حضوري الـ.. يهديك أنفاسي النقية، عساك أن تنفذي من كثافة الحزن.

- لكنني أشد احتياجاً للحزن.. ربما أقبل نصائحه تكفيراً لذنبي كوني اخترت له قلبي الصغير أمام سواده.

- آهٍ عليك أيتها المسكينة، لا أرى أحداً يستحق أن يسكن قلبك ما لم تملئي عالمه.

- ولا أنت..؟!

- ولا أنا ..!

- ما أجمل ما تقول.!

- أَتَشَكَّلُ جمالك.

- لستُ بما تقول!!

- أكثر..

....

....

- أين ذهبت..؟!
- ما زلت.. لكن الحديث أخذنا ولم أعرف لك اسما..؟
- "غياهب".
- اسمك جميل.!
- لعلك تجاملني.. وأنا ما عدت أطيق لطفاً ولا أكترث لمجاملة.
- تريثي عزيزتي.. لا تكوني أنتِ والزمن عليكِ.. امنحيني الفرصة لأطفئ هذه الحمم، التي تغتال أنوثتك.
- دعني وحممي، براكيني، رمادي، مالك واحتراقي؟!

....

❋ ❋ ❋

مد النسيم يده ومسح عن خدها تلك الدمعة التي

تلظت بنار أعماقها، فتركت له أنفاسها وأناخت روحها للمسته الحانية.. أزاحت شيئاً من الحزن عن وجهها وهي تخاطبه:

- كنت أتوسلك الحضور لكنك –مضمراً– تغض اللقاء.. لِمَ تركتني للعواصف تسحقني تحت حوافرها..؟

- اعذريني سيدتي، ما توقعتك بهذا الانهيار، ثم إنني لم أكن أدرك أن حضوري سيرمم روحك..

يا إلهي، كم أنا قاسٍ، وكم هو الليل مؤلم ما لم يقاسمنا رضاه.!

- لا تكثر من التأوه غير المجدي.. تعال إلي.. اقترب مني.. أكثر، أكثر.. دعني أداعبك، ألتهمك، أغسل بهميلك أعماقي، التي ما برح اليأس يعاود اجتياحها منذ تركتني له.

يا وحياً من سماء الصفاء، هاك أنا.. ضمني إليك.. قف بجوار قلادتي، وصلِّ في محرابك الذي هجرته منذ

زمن موغلاً في النسيان.. خاصرني، حاصرني، اجتحني وبث في كياني لواعج الشوق وعنفوان الرغبة، حطم الأسوار التي تقف بينك وجنوني.

....

....

بدت علامات الدهشة والذهول عَلَى مُحَيَّاه، وبدأتُ أستجدي قواي للتخلص من تلك الأغلال الجليدية، التي باتت تصلبني إلى جذع النخلة..، رائحة البرد تختلط بدمي..، لا أدري لماذا أحس بحاجة لأن أختبئ، أنسل، أهرب، أترك المكان ..

لا شيء لي هنا.. لكنني أتلفت حولي، أتخبط وأهوي، أركض خلفي..، ثملاً أحاول دفن جثتي، التي عجزتُ عن إخفائها..، ما زلت وحيداً هنا.. وحيداً كالموت.. متعباً كالوجع..، أنادي رفيقي، الذي استحال غياباً في مرافئ الانتظار.. فتسخر مني زهرة

الليلك، وتقول:

اذهب، فأهل مدينتك الثائرة ينتظرونك..!

❋ ❋ ❋

كنت أقف أمامها عاجزاً.. اكتشفت ضعفي الذي ساقني إليه فرط جنوني ..

وكطعنةٍ غادرةٍ تمطى الجرح في أعماقي واستيقظ..، ظِل أسى تسلل إلي وأنبت ذعراً في صدري، حاولت أن أتماسك لبعض الوقت، رفعت رأسي إلى الأعلى، النسيم يرشقني بوابل من النظرات الصامتة ويقترب من غياهب، وددت أن أتحرر مني صعوداً إليه.. إليها. ما زال يرمي ببصره نحوي ويقترب منها. حتى غاب فيها. شعرت ساعتها ألاّ مكان لي هنا.. هناااك..، كان على الصبح أن يتنفس ليفكَّ أسري وأسر ذلك السعف، الذي ما عاد حرًّا –كعادته– يغازل حائط المبكى، ويغسل بالطلول مساحة وقف البراق على بابها الغربي، يرقب صمتهم ..

الصبح لم يأتِ.. أنفاسه ما زالت بيد الليل.. المكان

تابوت من هلع ووحشة، وأنا أبحث عن أفق سري كيما أرحل عن ذاكرتي، ربما هي رغبة في الهروب من أي شيء لكنني أخشى أن أهرب منها فأهرب إليها..

لا أدري ما العمل..!

كل ما أعرفه أنني اشعر برغبة للانطلاق .. إلى أين..؟ لا أعلم..!

* * *

ما زلت أحدّق في البعيد.. ثمة دخان يتصاعد.. يشتمني.. لكن، ما تلك الرائحة التي استنهضت روحي؟ لعلِّي عاجزٌ عن قراءتها.. تبدو قريبة من تلك الـ.. كنت أستنشقها أثناء المظاهرات ..!

يا إلهي..: وانبرى نبضي يغني:

....

بدأت ذرّات الفجر تنفض عن نفسها رذاذ الليل باسطة أديمها على مدى الشمس، الـ.. تجفف بقايا

أحلام تتمدد في مخيلة الصغار.

لم يبق أمامي إلا أن أعود إلى ساحات الثورة وميادين الحرية، التي تنتظرني، وفي ضميري أخبئ حلماً صغيراً، لا زال ندياً لم تجففه أيادي الشمس ...

الحمد لله..!

تسللت إلى أعماقي بصمت، وفي يدها فأس مضرج بالصمغ، كان الشتاء قد أجبرني على الاختباء خلف الصوف المحبوك بخيوط الغروب، وكانت مخلفات المطر قد علقت بردائي المثقل بالصقيع..

وميض الألم يفر من عيني اليسرى ومن الأخرى يعاود حضوره، الليل يلتهم آخر أنفاس النهار والصمغ يجر أوردتي إليه..

ما يزال ذلك الغائب واقفاً في مهب الجرح، وما زلت أصلبني أمام الحيرة:

أتنهيدة تفعل بي كل ذلك؟!

أم أن ذلك الصوت القادم بوحشية معها هو مصدر تلك الفوضى العارمة التي لحقت بأعماقي؟!

ليس ثمة إجابة.. سوى ذلك الأمل الذي يرممني من الداخل، وبعض السراب الماثل أمامي كأنه قوس قزح..

كشفت عن ماء أجدادي، وشمرت إزاري، وأنا أحثو التراب في وجه ذلك الغراب، الذي يرقبني بمكر..

عندها، تهجيت صورتي، سيرتي الأولى.. وعطست..!!

الفهرس

الإهداء .....
تقديم..... ٧
توطئة.....١١
ذاكرة مرآة ١٣
قراصنة الربيع.....٢٢
رماد الصمت ٣٣
مزيّنة في مهب الحزن.....٤١
وحشية الوداع ٧٠
ارتكب البطولات واختفى!! ٧٤
فلذة كبدي الـ. يكبرني عطفاً.....١٠٢
خارطة السقوط.....١١٥
تنهيدة البُعاد ١١٦
الطريق إلى الفخ..!.....١١٩
وطن على خاصرة دمعة.....١٢٨
نسيم أبدي المساء ١٣٤
الحمد لله..!.....١٤٥
الفهرس ١٤٧

السيرة الذاتية

منيف مسعد محمد الهلالي

مواليد ١/ ١٢/ ١٩٧٨م

قرية العارضة – مديرية الشعر – محافظة إب

عضو مؤسس في منتدى مجاز الأدبي الثقافي.

عضو منتدى أنصار الديمقراطية.

عضو ملتقى الكلمة نغم الأدبي.

كاتب صحفي وقاص.

له:

- العديد من المقالات والتحقيقات والقصص والأبحاث المنشورة في عدد من الصحف والمواقع المحلية والعربية.
- سلطان الدعوة ورماد الوشاية – قصة تحت الطبع.

الجمهورية اليمنية – صنعاء – إيميل ALmonef86@ Yahoo.Com